

**ديوان
ماري عجمي**

آفاق ثقافتك

(٢)

رئيس مجلس الإدارة

عصام خليل
وزير الثقافة

المشرف العام والمدير المسؤول

توفيق أحمد

المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب

الإشراف الطباعي

م . زياد العوادة

جمع وتحقيق
عيسى فتوح

ديوان ماري عجمي

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٦

آفاق ثقافية

العدد (٢)

ديوان ماري عجمي / جمع وتحقيق عيسى فتوح. - دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٦ م. - ١٤٨ ص؛ ٢٠ سم.
(آفاق ثقافية؛ العدد ٢)

١ - ٨١١.٩٥٦١ ع ج م د - ٢ - العنوان ٣ - عجمي
٤ - فتوح ٥ - السلسلة

مكتبة الأسد

ماري عجمي

١٨٨٨ - ١٩٦٥

بقلم: عيسى فتوح

حينما أردت أن أكتب عن ماري عجمي، لاح لخاطري شريط طويل مما كتبتة عن هذه الأديبة الرائدة المناضلة يوم كنت أول من دعا للكتابة عنها، بعد أن ظن الكثيرون أنها فارقت الحياة، في حين أنها كانت لا تزال تعيش في منزلها في حي «باب توما» بدمشق القديمة، بعيدة عن الناس والأضواء والصحافة والأدب، مع أختها إيلين، عازفة البيانو الشهيرة، لا تفتح بابها لإنسان إلاّ للأخوات «عويشق» اللواتي كنّ جارات لها.

كنت عام ١٩٥٦ طالباً في صف البكالوريا، في ثانوية (الآسية) الأرثوذكسية بدمشق وفي يوم كنت عائداً إلى البيت، فلمحت في واجهة مكتبة «جورية» الصغيرة كتاباً يحمل هذا العنوان «ماري عجمي.. في مختارات من الشعر والنثر» وعلى غلافه هذان البيتان للعلامة فارس الخوري:

يا رجال العبقرية سجلوا هذي الشهادة
إن ماري العجمية هي مي وزياده

ولما سألت صاحب المكتبة عن سعره قال: « خمس ليرات سورية» مع أن عدد صفحاته هو ١٠٤ صفحات، فترددت في شرائه لأن ثمنه باهظ جداً بالنسبة لطالب لم يكن مصروفه الشهري يتجاوز خمس ليرات، ولما رأي صاحب المكتبة ذو الوجه الأسمر النحيل، راغباً في الكتاب قال: «خذته وادفع ما تشاء» فدفعت له نصف ليرة كانت هي كل ما في جيبتي، وعدت إلى البيت فرحاً مغتبطاً بهذه المختارات، أقرؤها بنهم لا يرتوي وجوع لا يشبع أحملها في حقيبتي المدرسية يومياً، أطلعها في الفرص بين الدروس، إذ أنتحي زاوية مهمة، لا يصل إليها شغب المشاغبين أو صراخ المتشيطنين من أولئك العفاريت الذين كان مهمهم الركض والقفز وإثارة الفوضى!.

لقد وقع حب تلك الأدبية في نفسي منذ ذلك اليوم، وكم فرحت عندما عرفت أن منزلها لم يكن يبعد عن مدرستي غير بضعة أمتار، ولما حدثت صديقاً لي عن رغبتني في التعرف إليها قال: تعال نقرع بابها، فإما أن تستقبلنا، وإما أن تعذر، فنعود أدراجنا. وفعلاً تم لنا ما أردناه، إلا أننا عدنا بخفي حنين، دون أن نعرف سبباً للرفض، واعتقدنا أنه ربما يعود إلى كوننا حديثي السن، فكيف تستقبل أدبية في السبعين من عمرها طالبين ناهضين، ليس لهما باع طويلة في الأدب! لكن يكفيني على كل حال، أنني نفذت رغبتني المكتومة،

واسترحت مما كان يؤرقني. وبعد أن تخرجت في جامعة دمشق عام ١٩٦١ وعُينت مدرساً في مدينة إدلب القريبة من حلب، شاعت الظروف أن أتعرف على الأديب الكبير سامي الكيالي (١٨٩٨-١٩٧٢)، وبينما كنا نتحدث ذات يوم عن أدب المرأة السورية، دفع إلي بالعدد الجديد من مجلة «العربي» الكويتية، لأقرأ ما كتبه عن أدبيتين سورييتين هما: مريانا مرآش وماري عجمي، وأكد لي في حديثه أن الثانية توفيت من زمان، فاستغربت الأمر وقلت له: اعتقد جازماً بأنها ما تزال على قيد الحياة، فأجاب: إذا كان ما تقوله صحيحاً فأنت مكلف منذ الآن بالاتصال بها وتقديم محاضرة عنها في حلب. وكان الكيالي يومئذ مديراً لمركزها الثقافي، ولما عدت إلى دمشق في أول عطلة مدرسية، سعيت للاتصال بالأسرة لأجمع المعلومات اللازمة وأطلع على مجلتها «العروس» وأهّيت من خلالها محاضرتي، ولحسن الحظ وفقت في مهمتي... فقد فُتح لي الباب المقفل هذه المرة، واستقبلتني أختها «إيلين» لما عرفت اسمي وقصدي من الزيارة، وبعد أن استأنست بي قدمت لي أحد عشر مجلداً من مجلة «العروس» التي كانت تصدرها أختها، ونسخة من رواية «المجدلية الحسنة» التي ترجمتها عن الإنكليزية وأهدتها إلي مشتركي مجلتها، واستطعت بهذه المناسبة أن أحصل على عدد من الصور التذكارية المعلقة على جدران منزلها، وأصور في الوقت نفسه هذا المنزل الأثري العريق الذي كنت أتمنى أن يصبح في يوم من الأيام متحفاً يضم تراث ماري

عجمي وأشياءها، وهو دار دمشقية واسعة، في صحنها بركة ماء،
وأشجار نارنج وكمّاد، وأزاهير شتى، ومرابيا و...

لقد ألقيت عدة محاضرات عن ماري عجمي وكتبت عنها
مقالات كثيرة في مجلات: الأديب والمعارف ودنيا المرأة في
بيروت ومجلتي المعلم العربي، والفتوة، وجريدة الثورة، وكان آخر
ما كتبت عنها في عدد تموز ١٩٧٤ من مجلة المرأة العربية
وقصرت المقال على مجلتها «العروس» فقط.

أما اليوم فإنني أعود للكتابة عن المجلة وصاحبته بشيء من
الإسهاب، لأغني الجوانب التي أوجزتها هناك، ولأضيف أشياء
أخرى كنت أغفلتها، أو اكتفيت بالإشارة إليها، مبيناً من خلال ذلك
الدور الوطني المهم والفعال الذي لعبته إبان الاستعمارين التركي
والفرنسي، فكانت بحق مثال المرأة الطليعية المناضلة.

كانت توقع مقالاتها الخطيرة باسم «ليلي»، وتحت عنوان
«حديث ذو شجون» وفي ذلك يقول الشاعر نبيه عبده:

لرشفُ السحر من ثغرِ العروسِ

أحبُّ إليّ من رشفِ الكؤوسِ

بها دررُ المعاني قد تجلت

شموساً دونها حسنُ الشموسِ

فأبدت من سنا (ليلي) جمالاً

يقدمه البخيلُ على الفلوسِ

وبالإضافة إلى باب «حديث نو شجون»، الذي كانت تكتبه من حين لآخر، تتحدث فيه شهرياً عن انطباعاتها، وتضمنه أبرز آرائها وأفكارها ومطالعاتها في المجالات الأجنبية... هنالك أبواب أخرى هي: باب المباحث النفسية، وكان لها ولع فيه، وباب الفنون الجميلة، وباب الرواية، وباب تدبير المنزل، وباب الاجتماع، ثم زاوية للأخبار الأدبية والأخبار الخاصة المنفرقة، وكانت تزين الصفحة الأولى من كل عدد بصور المشاهير العرب والأجانب، كهلن كيلر، والكونتيسة دي نواي، وميخائيل نعيمة، وأحمد شاعر الكرمي، والدكتورة أنس بركات باز، وجون رسكن، وعارف النكدي، وصفية حرم سعد زغول، والشاعرة اليونانية سافو وسواهم...

كان من كتاب المجلة آنذاك عدد كبير من رجال الفكر والأدب في الوطن العربي والمهاجر، معظمهم من الرجال لأن عدد النساء الكاتبات كان في تلك الأيام يعد على الأصابع، فمن النساء العربيات: روز شحفة، والدكتورة أنس بركات. زوجة نصير المرأة جرجي نقولا باز الذي كتب سير العشرات من النساء اللامعات، وألف كتابه المشهور «إكليل غار لرأس المرأة»، وزينب فواز، وأديل عجمي، وسلمى كساب، وسلمى جنبلاط وفاطمة اليشريطية، ونازك العابد، وسوزي كحيل... وكانت تترجم لعدد من الكاتبات الأمريكيات والإنكليزيات مثل دوروثي دوكنس، وليزا الكوت، وألن روبنسون، وهرييت ستانسون... أما الكتاب والشعراء فنذكر منهم على سبيل المثال أولئك المداومين على الكتابة في العروس مثل أديب فرحات،

وأحمد شاكر الكرمي، وسليم حمدان، وعبد المجيد رمضان، وجورج قصاص، وإيليا أبو ماضي، ومحبوب الشرتوني، والرصافي، والزهاوي، وعبد الله النجار، والدكتور خالد الخطيب، وقسطنطين تيودوري، وجورج ميداني، وميخائيل الله ويردي، وبدوي الجبل، وبشارة الخوري(الأخطل الصغير).

ماري والاستعمار :

لقد ارتبط كفاح الأنسة ماري عجمي، بالدرجة الأولى، بشهداء السادس من أيار ١٩١٦، فزارت السجون غير مرة، ووصفت أحوالها وأحوال من فيها من السجناء السياسيين، ورأت بأّم عينها الأوضاع السيئة التي كانوا يعانون منها، وألوان العذاب والاضطهاد التي تحملوها بصبر الجبال، ووصفت جمال باشا بأنه شر طاغية ابتليت به البلاد، غير خائفة من عقابه، ولا متهيبة مشانقه وجواسيسه، فقد كان الشهداء أولئك الذين قتلوا حباً بالاستقلال، بعد أن جعلهم جمال باشا بمنزلة الواشين المجرمين على حد تعبيرها.

تقول: «لقد كنت أسمع أنين أولئك الشهداء، وأبصر مواكبهم المزمعة على الرحيل، وأرى المشانق المنصوبة كأنها مواقف مناطيد المجد المحلقة إلى السماء».

وكان رد فعل العرب على جريمة إعدام شهداء أيار قيام الثورة العربية بقيادة الشريف حسين، فانضم إليها العرب، كل العرب ثم دخلت

الجيش العربية سورية، ظافرة منتصرة، بعد أن هزمت فلول الأتراك، وقام الحكم الوطني إلا أن الفرحة لم تطل كثيراً، إذ أعلنت فرنسا حربها على سورية، المستقلة، واقتحمت حدودها في معركة ميسلون عام ١٩٢٠ وبعد أن تم الاحتلال الذي لم ينقلنا إلا من تحت الدلف - دلف الاستعمار التركي، إلى تحت المزاب - مزاب الاستعمار الفرنسي، على حد تعبيرها، راح الفرنسيون يراودونها، ويحاولون إقناعها بالكف عن مهاجمتهم في مجلة «العروس» وسواها، مقابل مبالغ ضخمة من المال تدفع لها، لكنها رفضت أيما رفض، وزادت المحاولات عناداً وتصلباً، وحدة في المهاجمة... وعندما أقضت مضاجع الفرنسيين بمقالاتها الثورية اللاهبة ردوا عليها بتعطيل المجلة نهائياً، تقول:

«بعد أيام قليلة انقضت على استيلاء فرنسا على دمشق، جاءني شرطي برقعة يدعوني فيها رئيس الوزراء إلى اجتماع أراد عقده، فخطت عليها كلمة «تبلغت» وأبيت أن ألبى الدعوة. وبعد انعقاد الاجتماع، سألت عن القصد منه، فقيل لي إن مدير إدارة المطبوعات الفرنسية خطب في الحضور، وهم الكتاب وعلمهم (كيف يكتبون) ووزع عليهم ورقاً بلا ثمن، ووعدهم بالمساعدة...».

لا أعتقد أن مجلة نسائية عربية تحملت من الأعباء، مثل ما تحملته «العروس» وقليلات هن اللواتي خرجن إلى ميدان العمل السياسي، ومعارك النضال الوطني المشرف كما ربي عجمي، فقد حضرت وخطبت في الجماهير، وتنقلت بين سورية ولبنان

وفلسطين ومصر والعراق، تارة تنشر آراءها الثورية عن طريق إلقاء الدروس في المدارس، وتارة عن طريق الكتابة، توزع مقالاتها على الصحف والمجلات التي كانت تحثها على المزيد، وظلت هكذا حتى شهدت جلاء آخر جندي فرنسي عن أرض الوطن في السابع عشر من نيسان عام ١٩٤٦ ونعمت سورية بالاستقلال والحرية في ظل الحكم الوطني.

نشاطات أخرى:

كانت ماري عجمي قد درست فن التمريض في الجامعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٠٥ لكنها لم تكمل الدراسة بسبب انحراف صحتها، فاتجهت في البداية إلى التعليم، وعينت معلمة أولى في المدرسة الروسية بدمشق عام ١٩٠٦، ثم راحت بعد ذلك التاريخ ترسل كبريات الصحف والمجلات كـ «المقتبس» في دمشق، و«المهذب» في زحلة، و«الإخاء» في حماة والحسنة ولسان الحال في بيروت مدة سنتين.

ثم انتقلت إلى الإسكندرية عام ١٩٠٩ حيث عيّنت ناظرة لمدرسة الأقباط، فقضت سنة واحدة ثم عادت إلى دمشق لتتنشئ مجلة العروس في كانون الأول عام ١٩١٠.

أسست النادي الأدبي النسائي في حي القصاع بدمشق، ثم جمعية نور الفيحاء وناديتها، ومدرسة بنات الشهداء بالاشتراك مع نازك العابد عام ١٩٢٠، وانتخبت عضواً في لجنة النقد الأدبي في جمعية الرابطة الأدبية عام ١٩٢١، وأسهمت في تحرير مجلة الرابطة المذكورة التي لم تعش أكثر من عام واحد، وكانت المرأة الوحيدة في تلك الرابطة.

عربت عن الإنكليزية - بالإضافة إلى تعريب رواية «المجدلية الحسنة» التي صدرت عام ١٩١٣ - رواية «أمجد الغايات» سنة ١٩٢٧ للكاتب باسيل ماسيوز، وقد أهدت الرواية إلى فليكس فارس قائلة: «إلى الكاتب الرقيق الروح والقلم، والقائد الذي بثّ بي روح الشجاعة الأدبية، والأخ الذي رفع ستار الشقاء وأراني سبيل الواجب، ودعاني إلى الجهر بما في جسد الاجتماع البائس من السوس الناخر، أهدي روايتي هذه عربون شكر وولاء».

درّست الأدب العربي في مدرسة الفرنسيكان (دار السلام) مدة أربع سنوات في مطلع الثلاثينات وسافرت إلى بغداد بقصد التدريس أيضاً عام ١٩٤٠، لكنها لم تمكث هناك أكثر من سنة، عادت بعدها لتتصرف إلى النشاطات الأدبية والاجتماعية فانتخبت عضواً في جمعية حلقة الزهراء لسيدات ورجال الأدب عام ١٩٤٤.

احتفلت بها الأوساط الأدبية فأقيمت لها حفلة يوبيل فضي في بيروت سنة ١٩٢٦ بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على

كفاحها وعملها في ميادين الخطابة والكتابة والصحافة... ولقيت مثل ذلك التكريم في حفلتين أقيمتا لها في حيفا ويافا سنة ١٩٢٨، كما كرمها النادي الأرثوذكسي بدمشق عام ١٩٢٩. وفازت بجائزتين من الإذاعة البريطانية عامي ١٩٤٦ و١٩٤٧ إحداهما عن قصيدتها «الفلاح» الذي تقول فيه:

هو الزارع الفلاح لولا جهاده

لما شمت بالريحان حسن المخايل

نبيّ فقد أوحى إلى الفقر بالشذى

وعلق أقراط الغصون الحوامل

توفيت ماري عجمي في ٢٥ كانون الأول عام ١٩٦٥ عن سبعة وسبعين عاماً، فأقام لها اتحاد الجمعيات النسائية في سورية حفلة تأبين على مدرج جامعة دمشق في ٢٥ نيسان ١٩٦٦ تكلم فيها كلٌّ من: فؤاد الشايب، رفيف خوري، جان كميد، وداد سكاكيني، الدكتور كاظم الداغستاني، عفيفة صعب، أمين نخلة، والدكتور جدعون محاسب نيابة عن أسرة الفقيدة.

ثم طبعت لها وزارة الثقافة والإرشاد القومي عام ١٩٦٩ كتاب مختارات من الشعر والنثر تحت عنوان «دوحة الذكرى». وما يزال قسم كبير من مقالاتها ومخطوطاتها غير منشور، وموزع في بطون الصحف والمجلات التي كانت تكتب فيها.

أديبة الشام

بقلم: الأديبة وداد سكاكيني

كان الفرزدق إذاً سمع شعراً للخنساء قال: تلك أنثى غلبت
البحول... وفي زماننا هذا لو يُسأل فحول الأدب عن «ماري عجمي»
لأعادوا قول الفرزدق في الخنساء.

عرفت أديبة الشام وأنا طالبة أتشوّف إلى مطالع الأدب
النسوي المعاصر، فتمثلت من خلال آثارها روحاً جبارة نفذت إلى
دقائق الحياة فتحسستها في حقائقها، وتلمستها من مظانها، وخيل
إليّ أن وراء آثار الأديبة عبقرية طلعت قبل الأوان، وفي بلد لم
يتعهد مغارس الفكر والبيان، وحين جمعتني إلى الآنسة ماري
عجمي وداد ووفاء وجدت أن الخيال الذي كنت أراها من خلاله
غاب عني خجلاً لقصوره في تصويرها، فلقد رأيت منها ما وراء
النظر وسمعت ما فوق الكلام.

نجمت أديبة الفيحاء من أسرة عريقة متنورة، وكانت المواهب
الرفيعة قسماً موزعاً في هذا البيت الكريم، على أن الآنسة ماري

تتفتت الأدب في غراريتها وحدائتها، وتتسمت أرجه المعطار منذ
تفتح صباها للخير والطموح، لقد نفت الأدب من سحره في روحها،
فهامت به وهام بها وشغفها حباً وحين وقفت بباب العمر الكامل،
أصابها كل ما يصيب العشاق من ذهول وإطراق وشحوب ووجيب،
وسعت إليه بكذ إن لم يضارع كذ النملة فبشوق يضاهي شوقها إلى
ما تسعى.

ولقد عرفت «ماري» الكتاب في سن صغيرة، لا تستهويها غير
الدمية والأرجوحة، غير أنها لم تكن كلداتها، فأحبت الكتاب وأكبت
عليه تغلب النظر فيه وتناغي حروفه، وما لبثت أن حملت القلم
مزهوة بخطها فيه وحظها منه، ولم تكن تدري أنه سيتحول في يدها
عصا سحرية تجود بالآيات البيئات، وحين اتصلت بالمجتمع
وتغلغت في شؤونه وشجونه جعلت تدمغ بالحجة البالغة ما يفتري
على المرأة ظلماً وكيداً، داعية قومها إلى تحريرها وتبصيرها، وإلى
رفع مستواها بالتعليم والتقويم، لكي تكمل الرجل ويتعاونوا معاً على
بناء الأسرة والمجتمع.

ومشت مع الزمن تأخذ بثقافة من العربية عريقة مكيئة، وثقافة
من الإنكليزية واسعة رزينة، حتى إذا نضج طبعها بالبيان طلعت
على منبتها دمشق كزهرة فواحة العبير في عهد لم يكن بالشام امرأة
تحسن الإملاء والإنشاء بله حمل القلم، وقد عز على ماري أن ترى

بنات قومها أميات وأنصاف متعلمات، فمارست التدريس والتنقيف تارة في الوطن وتارة متقلبة حيث تدعو الحاجة ويطيب المقام.

ولما احتدمت الحرب العالمية الأولى، ودهمت سورية نكبات البغي والاستبداد لم تقف «ماري» مكتوفة اليدين، معتزلة وجلة، لاسيما حين وقعت طائفة من أحرار البلاد في قبضة الظلم والطغيان بل تشفعت بهم، وزارتهم في سجونهم الرهيبة وواست منهم كل مشرد وطريد، حتى وضعت الحرب أوزارها فجعلت الأنسة ماري تحقق بعض أمانيتها بالكتابة والخطابة، وإذا بمجلتها «العروس» تتهاذى بحلة الفن والأدب، داعية إلى التحرر والخلاص من نير الغاشمين، والمتزعمين، غير عابئة بدس المبطلين، وقد فاتها ما كان يجري يومذاك من فيض الإغراء والعطاء على كثير من الصحافيين والكاتبين الذين سخرُوا أقلامهم للمضي في ركب الأيام، ولكن قلم «ماري» تأبى وانقبض، فعاشت صاحبتة منطوية على نفسها، قانعة بعزتها وكرامتها، وقال ناس فاتها الكثير، وقال الأدباء فيها: نالت الكثير...

وبقيت ماري عجمي الصحافية الحصيصة تزف إلى قرائها وقارئاتها «عروسها» التي بقيت في جلوتها، ولم تتبدل نضارتها، حاملة في كل شهر طاقة ندية عطرة من أزهار شعرها ونثرها، ناقله بقلمها أطيب ثمرات الفكر الغربي، وقد قامت «ماري»

بتكاليف المجلة سنين طويلاً، فأصدرت منها أحد عشر مجلداً، وكانت تحمل وحدها عبء المجلة الذي ينوء بمثله جماعة من الرجال وخاصة في دمشق، وكم نشروا مجلة أو جريدة لم تعش أكثر من عام أو بضعة أعوام.

ويدور الزمان بالناس، فإذا الأنسة ماري عجمي أستاذة الأدب العربي في معهد الفرنيسيكان تعلم الطالبات الشابات أدب العربية على أحكم دراسة وأقوم طريقة، ولو أنك سمعتها تحاضر تلميذاتها عن المعري أو الجاحظ، وضرب بينك وبينها بحجاب لقلت: ثمة أستاذ كبير يحسن الخوض في تاريخ الأدب ويرد صدور البحث إلى أعجازه، ويجيد المقارنة والموازنة بين الشعراء أو بين الخطباء والباحثين وقد يهزك العجب والإعجاب لندرة الأساتيد الذين أوتوا مواهب الأدباء، وأحاطوا علماً بمذاهب النقد الحديثة ومناهج البحث والتحليل، ولئن زحزح عنك الستار أو الحجاب، ورأيت المحاضر أو المدرس من بنات حواء لشدهت ودهشت، وظننت في التناسخ الظنون، ولا بدع إن أخذك العجب فإن تدريس الأدب العربي ما يزال في شرقنا العزيز وقفاً على الرجال، وقليلات هن اللواتي اضطلعن بهذه المهمة الكبرى، فتعمقن بالعربية وألمن بلغة غريبة كما أوتين المزايا والمواهب المنشودة في معلم الأدب.

وأتيح للآنسة ماري أن تتذوق حلاوة الأدب السكسوني بلغة شكسبير، فاطلعت على كثير من ألوانه وأفانينه، وكانت تبتسم وتهمهم كلما رأت أشباح الأدباء الإنكليز حوامة على آثار بعض المفكرين والمشهورين من كتاب الشرق الذين يتخذون من تلك الأشباح أرواحاً لأدبهم السليب.

وإن أدبنا النسائي المعاصر ليزهو بشعر «ليلي» وما ليلي هذه إلا ماري عجمي التي أعادت إلى الخواطر ذكرى شاعرنا العربيات في عصور الجاهلية والإسلام على تفاوت بالفكر والمزاج والاتجاه، وإن شعرها الرقيق ليفيض من حسها الدقيق، يوحيه إليها ملاك لا شيطان، فالشيطان للشعراء من الرجال، وكم ذا يرق شعورها، ويروق تعبيرها وتصويرها، حين تعصر الآلام قلبها، أو حين يستخفها الطرب ويستهوئها الرضى والجمال.

لقد عرفت ماري نفسها، فصاننتها عن الهوان، وضنت بها على التكلف والرياء، واتخذت لذاتها وحياتها أسلوباً في الكتابة والحديث شاع في آثارها وكلامها، وهو أسلوب التهكم الذي كانت تصيب بلمحاته الخاطفة ما لا يصيب غيرها بالنقد والتعبير، والحديث المكور، فإذا استمعت ماري لرأي عاجلته ببديعتها، وطبعته بالنكتة التي هي طوع خاطرها وشعورها.

ولعل أبرز ما عرفت به أديبتنا الجليلة هو صراحتها التي
لا تصطنع فيها مداراة ولا مداورة، وقد جافاها من جرائها كثير ممن
كانت حفية بهم وفيه لهم في الحل والترحال، ولئن تجنى عليها من
تجنى فإنها لم تعدم من أهل الأدب والوفاء من يقدرها قدرها ويذكر
فضلها.

ماري عجمي

بقلم الأديبة كوليت الخوري

- ١ -

لا شك في أنها حتى هذه اللحظة لم تأخذ حقها من التاريخ..
ولم تحتل المكانة التي تليق بها في سجل المجد...

ماري عجمي..

واحدة من أهم نساء القرن العشرين السوريات العربيات..

لا لأنها كانت أديبة كبيرة فحسب والجدير بالذكر ان آثارها
الأدبية من شعر ونثر وترجمة - وما أكثرها - لم تجمع حتى اليوم
في كتاب.. فيما عدا الكتاب الذي طبعته تكريماً لها الرابطة الثقافية
النسائية في دمشق وكان ذلك في أواسط الأربعينات أي إبان
حياتها.

ولا لأنها مثقفة كبيرة وأستاذة في الأدب العربي متميزة..
ومتحدثة بارعة وتتنقن من اللغات عدة...

- ٢١ -

ولا لأنها استطاعت بمفردها أن تصدر في دمشق سنة ١٩١٠ مجلة مهمة سمّتها «العروس» واشتهرت هذه المجلة وانتشرت في زمن كان الرجال فيه يعجزون عن إصدار مجلة جيدة.

ولا بد لي من أن أذكر هنا أنها تحملت بمفردها وبنفسها أعباء هذه المجلة التحريرية والمادية.. وأن هذه «العروس» بقيت تصدر من سنة ١٩١٠ حتى سنة ١٩٢٦ مع انقطاع دام من سنة ١٩١٤ حتى سنة ١٩١٨ بسبب الأحداث السياسية...

ماري عجمي امرأة عظيمة لأنها إلى جانب كل هذه المزايا وفوق كل هذه الصفات كانت مناضلة حقيقية ومكافحة تحمل الوطن في كيانها...

«لما احتدمت الحرب العالمية الأولى ودهمت سورية نكبات البغي والاستبداد لم تقف ماري عجمي مكتوفة اليدين معترلة وجلّة.. لا سيما حين وقعت طائفة من أحرار البلاد في قبضة الظلم والطغيان... بل تشفعت لهم.. وزارتهم في سجونهم الرهيبة..»

وجاء في كتاب الزميل عيسى فتوح «أدبيات عربيات» الذي قدّم له أنا ويتحدث فيه عن أكثر من ثلاثين أديبة.

«... ارتبط كفاح الأنسة ماري عجمي بالدرجة الأولى بشهداء السادس من أيار فزارت السجون غير مرة، ووصفت أحوالها الرديئة القاسية ورأت بألم عينها الأوضاع السيئة التي كان يعاني منها السجناء... وألوان العذاب والاضطهاد التي تحملوها بصبر الجبال.. ووصفت جمال باشا بأنه شر طاغية ابتليت به البلاد... غير خائفة من عقابه ولا متهيبّة جواسيسه ومشانقه..».

نعم.. كافحت وناضلت وعرضت نفسها للخطر أيام العثمانيين..

وجاء الانتداب.. وحاول الفرنسيون عبثاً أن يستميلوا إليهم هذه المرأة الوطنية المناضلة صاحبة «العروس» وأن يجعلوها تتعاون معهم لكنهم باؤوا بالخيبة والخذلان.

وكما يتابع الأديب عيسى فتوح عن ماري عجمي:

«... واستمرت تحرر مجلّتها بقلمها الجريء حتى سنة ١٩٢٦ حيث توقفت نهائياً بسبب مناهضتها الصارخة للاحتلال الفرنسي...»
وهكذا...

استمر نضال ماري ضد الانتداب مثلما كان ضد العثمانيين.. حتى توجّ بالجلاء واحتقلت مع الوطنيين والسوريين باستقلال البلاد.

ماري عجمي امرأة عظيمة عاشت لقلمها وللأدب وسخرت قلمها والأدب لخدمة الوطن.. ومن الحرام أن أختصر حياة هذه الإنسانية الكبيرة في صفحة صغيرة...

ومن الحرام أن أحشر سيرة امرأة رائدة رأت النور سنة ١٨٨٨ وانطفأت سنة ١٩٦٥ في أسطر معدودة...

وأن لا أسجل هنا ما قاله عنها كبار رجالات بلادنا مثل فارس الخوري والأخطل الصغير وخليل مردم بك وغيرهم كثيرون ولكن لما كان أحد الأصدقاء أخبرني أنه سيؤلف كتاباً عن ماري عجمي.. فقد أسعدني الخبر، ورأيت أن أقدم هذه الصفحات تحية لأديبة مناضلة عظيمة لم نعطيها حقها حتى اليوم...

فكما يقول الصحفي الكبير والأديب عبد الغني العطري في كتابه القيم «حديث العبقريات» الذي يتابع فيه سلسلة الدراسات والتراجم لحياة الأعلام وهي سلسلة كتب مرجعية قيمة ومفيدة وممتعة... في أدبنا الحديث عن تاريخنا الحديث.. يقول فيما يقوله عن ماري عجمي «الأديبة الشاعرة والمناضلة الرائدة».

«نحن لم نعلم لها تمثالاً في حيّها.. وهي جديرة بذلك».

«ولم نطلق اسمها على شارع وهي أهل لذلك أيضاً».

«ولم تحمل مدرسة^(١) اسمها وهي التي حملت راية نهضة
نسائية وعلمية شاملة وكانت أستاذاً لأجيال عديدة...».

«ولم نجمع آثارها المشتتة في مجلتها وفي عشرات الصحف
والمجلات...».

«ولم نحدِّث الجيل الصاعد في الكتب المدرسية بشيء من
أخبارها ولم نر له صفحة من كفاها...».

«لقد نسيناها كما نسينا سائر عظمائنا في الجهاد الوطني
والفكري والعلمي...».

وهنا فقط أتوقف لأعترض...
ومن قال إننا نسينا؟؟؟.

دمشق في

٢٦ أيلول ٢٠٠٠

(١) سميت مدرسة ابتدائية باسمها مؤخراً في ساحة جورج خوري بدمشق، بعد صدور كتاب العطري، كما أصدر الدكتور ميشال جحا كتاباً عنها في منشورات رياض الرئيس. ع.ف.

**ديوان
ماري عجمي**

تحية الربيع

نضا الروض عنه رداء المنام
وألقى عليه وشاح الزهر
ألا فافسحوا للربيع المقام
فقد أقبل الموكب المنتظر

* * *

رأيت الربيع يشق الثرى
ويحيي الموات ويلقي الطريف
تسير على جانبيه الدمى
ويهتف إلف بأذن الأليف

* * *

على السهل منه بساط نضير
توشى بأزهى فنون الخيال
ترقرق فيه لجين الغدير
وشدّت إليه الطيور الرحال

* * *

هو الزهر إن هجرته الطيور
وأخنت عليه صروف الزمان
معاد، وما كان يوم النشور
سوى الملتقى في ربوع الجنان

* * *

تعودين يا طير بعد الهجود
وإنّا لجوقتنا في اشتياق
لقد بسط الدوح ظل الخلود
فهزي بربك ذاك الرواق

* * *

ونادي الغصون على شغلها
تشق الطرائق نحو العلا
فشيء من اللحن في أذنها
يثير بها خفقات اللوا

* * *

إلى الروض نزهو بأعلامه
ترفُّ بخضر المنى والنوال
فكم من خيال بأحلامه
تحقق مستهزناً بالمحال

* * *

هو الزهر جود، فتطفو السلال
ويمتلئ الجو من نفتحته
وهذا يرجح ذات الظلال
وذاك يموج على ضفته

* * *

لقد حشد الروض جيش البديع
وزاد الحماس احمرار الشقيق
وما وطأ النور ذيل الربيع
ولكن حياة سرت في العروق

* * *

عقدت لزهرياض الإخاء
وعشت أشيد بإحسانه
فأهدي إليه عقود الولاء
ويمنحني فوح أردانه

* * *

عزائي إذا ساورتني الهموم
يرقه عن كبد نازيه
ففي ظلمتي من سناه النجوم
تشع على طريقي الخافية

حملت إلى النهر قلباً كئيب
أغسل أشجانه الماضية
قللم كل شجون القلوب
وأبـدعها وردة دامية

* * *

وما الزهر إلا بيان جميل
يعبر عن خلجات الثرى
تراه إلى جانبينا يميل
ويهمس شيئاً بسمع الورى

* * *

إلى الوعر بين الذرى والتلاع
إلى الفياء في ذلك المنحنى
وكل طروب بما قد أشاع
رسول الخمائل في أفقتنا

* * *

نغني سجالات غناء الحياة
نردد فيه القرار الرخيم
هو العيش قد أسلسته يداه
فنهـر جواد وروض بسيم

يقظة الربيع

خَلَّ اللّواعج والفكر
وامرح بجنات الشآ
حيث الربيع مخيم
سال اللجين بمائه
فَوَمَن أَحَب، لَنوره
أشهى إِلَيَّ من الـلآ
فلقد أضربك السهر
م مع العبير المنتشر
والموج يعبث بالدرر
يجلي الخميـلة والزهر
ما بين مخضـر الشجر
ليء والجواهر في النحر

* * *

يا بدر حيتك الريا
أنا قد نذرت صبابتي
غرس الجمال غرامه
أنا أعشق الأزهار ما احـ
أهوى الخزام وما روت
وأحب ثرثرة الشوا
ض وبهجة الورد الأغر
وقفاً على ما قد نض
فنما بقلبي وازدهر
تجب الربيع وما سفز
عنه نسيـمات السحر
دي في ظليل المنحدر

من لا تشوقه المنى
جهل الحياة وفتنة الـ
وغدا كغصن قد ذوى
فتحت عيونك يا ريا
أم ترقبين الريح تهمـ
أم طيف محبوب يز
ويذوب من وجد وحز
سحر الحلال وما غمز
لا زهر يرجى أو ثمر
ض فهل غرام أم حذر
س ما العبير به أسر
ف لك القلائد والدرر

* * *

جواب الروض

يا جارتى لو تعذريــــ
طيبفَّ ألمّ بلييلة
في عينه برق المنى
لمس الثرى فإذا به
أنفاسه ريح الصبا
هاج الحنين جناحه
ثمّل معتقه الندى
سكرت بنشوته النفو
أبدأً بشغلٍ شاغلٍ
ما من جمالٍ شمته
فإذا نكرت رواءه
أضفى علىّ غلالة

من جلوت مكنون الخبز
حلو التغزل والسمر
في كفه جود المطر
ورد بلمسته انتثر
أفاظه نغم الوتر
فمن الخلاعة للخفر
طلق تبسم أو زفر
س ويا لخمّر قد عصر
في كل فنٍ مبتكر
إلا به منه أثر
والروح تبعثها الذكر
خضراء وشاها القمر

* * *

ياقوم أين ربيعكم
أين الصفاء وأين مجد
لبست رياضكم الحدا
لِم لا تعود مع الربيع
يخضر فيه رجاؤه
أين الروائع والغرز؟
كم القديم وما بهز؟
د أسى على حظٍ عثر
حياة شعب محتضر
بمضاء فتیان سمر

* * *

يا من تهلل للربيع
أين الربيع من القلو
ع ومن بروضته خطر
ب خفقتن في يوم الظفر؟

* * *

الجندي في ساحة القتال

كان كالبلبل في أيكته
فرمى الكأس وألقى نايه
يتغنى بالقوافي العامرة
ومضى للحرب نفساً ثائرة

* * *

مشت البيد أم الركب جرى
أطبق الجو عليه والثرى
أم جبال وحصون سائره
بيراكين الضرام الفائره
ينفت الأهوال حمراً زائره
فهي ومضّ بالنصال القاهره
وعدا الغور تلالاً زاخره
أجنان الخلد أم بالحاضره؟

* * *

قدرّ يلهو وعمرّ ينقضي
والفتى جزر ومدّ بينها
وغصونّ تتهوى خائره
عند أكوام الحطام الزافره
وخيلات الأمانى سافره
ويعينيه اتقاد الهاجره
يتلوى شبه أفعى دائره
وحزام كشرت أسنانه

أطفأت نار الخدود الناضرة
راكداً تحت الشظايا الماطرة
أو هوى بين الشقوق الغائرة

* * *

فاتحاً للعين باب الآخرة
يتقي حرّ المنايا الطائرة
وهب الليل نجوماً زاهرة
راعه من صاعقات غادره
تتصّباه العوادي الجائرة
جاذباً جبل الحياة الباهرة
رفّة الزورق فوق الهادره

* * *

لا يهاب الموت، نار صاهره
عصفة الريح بروض عاطره
غير عاصٍ شرعة أو أمره
ناهض بالعبء، غوث القاطره

* * *

يلمس الدمعة تجري حائره
كفناً فاق البرود الفاخره

* * *

هي نار كلما أشعلها
وإذا مرّ به الموت ارتمى
أو توارى عند سفح المنحنى

وتناهى النسر في تحليقه
أجحيمٍ في جناحٍ خافقٍ
قد كسا الكون حداداً بعدما
ودّ لو ينتزع البدر بما
كي يدك الأرض بالخصم فلا
أينما شاء تدلى آمناً
ظلة رفرافة تهوي به

هل لها إلا غيور حازم
تعصف النخوة في أضلاعه
مؤمن بالحق، صلب، خشن
دائب لا ينتهي عن واجب

صفحة المجد أما من قارئ
كم صريعٍ نسج الفخر له

الصباح

هل الروض للصباح وكبّر
هَبَّ والزهر في الغلالة يشدو
يا له شاعراً تغنى فأسكر
ما أحلى الصباح!.. الله أكبر
* * *

شهد الفجر أروع الآيات
فاتر العزم قم من النوم وانظر
إن حبّ النهوض سرّ الحياة
إنما الفجر معرض المعجزات
* * *

من زهورٍ تفتحت أقمارا
ودموعٍ أسالها البين إن الـ
ونجومٍ تودعت أسحارا
بين صعبٍ ولو عهداً قصارا
* * *

ما ترى الأزرق الخضم يلين
صاح، طالت يد الزمان علينا
يعتريه عند الشروق سكون
فمتى يا صبح الأمانى تبين
* * *

ما لخضر الظلال في النهر نشوى
تتهادى ما بين بثٍ وشكوى

هل غدا الماء في الجداول راحاً أم أمال النسيم عطفك نجوى

* * *

إخلع النعل فالمكان محرّم فهنا الطلّ واللجين وضوء
ما المصلى منه بأنقى وأرحم وهناك الصفصاف صلتى وسلم

* * *

وزكاة الرياض ظلّ وخمرُ وثغاء القطعان في الحقل شكر
وحفيف الأوراق آيٍ وذكر وأريج الرياحن طيٍّ ونشر

* * *

وهتاف الورقاء أزكى تحيةً إيه ورقاء هل تساوى هديلُ
تغمر الأفق بكرةً وعشيةً كان شجواً أو نشوة سحرية

* * *

هل صدود الحبيب يعني اتصالاً وإذا لم يكن من البين بدّ
بحبيب سواه ما القلب مالا فعلام السهاد يمسي اكتحالا

* * *

وكذا العمر يقظة ورقاد غير أن الأنوار أقوى نفوذاً
ورجاء وخيبة وجهاد من ظلام يحوكه الأضداد

* * *

يا حبيباً سبى العقول هداه
كلما ردد اسمك العذب ذكر
وجزيلاً في العالمين نداه
رجع القلب في الخفاء صداه

* * *

أنت تجلو عن العيون الظلما
أنت أوحيت بالعبادة شعراً
أنت تذكي نفوسنا إلهاما
وأقمت الهزار فينا إماما

* * *

أنت أودعت في البرود لهيبا
من لتلك الأسرار غير صباح
وبعثت الجماد زهراً وطيبا
كنت منا يا رب فيه قريبا !!

* * *

إلى البنفسجة

بنات الندى والنار هللن للضحى
وداعاً فقد أضحى التداني تائياً
مضى الصيف بالالاء، بالظل، بالهوى
بمن أرسل السحر الحلال أغنيا
مضى بمغاني الصفو والأنس عابثاً
وخلفها تنعى على الوقت بانياً
فرعد ويرق وارتعاش وزفرة
وويل وويل في التجني تمادياً
فما في المناحي غير أغبر قاتم
وأشلاء أغصان هصرن زواهياً
وباسق أدواح تعرت غصونها
رفعن أكفاً للسماء تشاكياً
والف حمام خانه الصبر فانزوى
ينوح لو ان النوح يسعف باكياً

وشمّ جبالٍ أخفض الثلج عرّها
وأعلى من الأرجاء ما كان واديا
وصمّ صخور فتت البين قلبها
ففجر سيلاً في المهامه داويا
وآثار كأس أفرغ الدهر دنّها
وأطلال روضٍ كنّ أمس نواديا
خلون عدا من زهرة تبعث الشذا
فتبعث في قلب الشجي أمانيا
بنفسجة لولا اخضرار وشاحها
لما شمت في الفيحاء أخضر زاها
تجيل عيوناً قد تحلن بالدجي
يطوف بهنّ الدمع رائح غاديا
عذارى حييّات تسربلن بالنهي
يصوصن من خلف الستور تفاديا
عوانس لا يصبو إليهن مغرم
يواقظ غالبن الأسى والعواديا

* * *

بنفسجتي صبراً على الجور والقلبي
فإن جميل الذكر ما كان باقياً
فخار رياحين الرياض دعابة
ومجدك أن تضحى عزاء وآسيا
فهن إذا هبت عليهن صرصر
سلن سيوف الهجر بيضاً مواضيا
وأنت إذا جارت عليك يد النوى
أعدت أديم الجو أزرق صافيا

* * *

شوقي! ...

هزوا الغصون لعله نائمٌ سكران في عش الهوى حالمٌ
فالخلد فوق رياضه حائمٌ
الروض خلوّ والفضا قفر لا شدو شادٍ هاجه العطر
الريش في أعشاشه نثر والعين لا نور ولا جمر
ورقاء نوحاً فالأسى غمر مات الهوى والحب والشعر
كانت أغانٍ، وقعها السحر حسب الأغاني تندب الناظم
قم وارثٍ نفسك لن ترى شاعر يرثيك عفو القلب والخاطر

وضح النهار بيانك الساحر

من ذا يناجي بعدك النجما ويذيع طيب الزهر ما نما
كنت الرسول الكاشف الظلما بين الخوافق ما شكت هما
نفحاته إن زدتها شما خلت الروائع بعدها إثما
لا تعذليه إنه سلمى ثملٌ بنشوة حبه هائم
ورق الغصون النضر أوراقه ومطالع الأنوار آفاقه

فلئن صبا هاجتك أشواقه

غررّ زهت والشعر يا صاح نار بأحشاء وأرواح
وكأنها نشوى من الراح تختال في حزنٍ وأفراح
فتراود السكران والصاحي وتؤجج الأشواق في اللاحي
أوميض برقي بين أدواح أم شعر شوقي في الدجى الفاحم

* * *

من للحزين إذا نأى الركب أو للطروب إذا صبا القلب
أو للقوافي شقها العتب

ما في الربا غصنٌ ولا ظل إلا انحنى والدمع منهل
هل في الرياض لشاعر أهل غمر الرياض الحزن والمحل
هذا صدى ألعانه يتلو إن الخفوق لقلبه شغل
يا ذا الجناح أشاقتك الرمل أم قد تجهم جوك الباسم
صبّ تحطم كأسه الباقي فمضى بلا راحٍ ولا ساق

متزوداً عبرات مشتاق

هو في الكروم يجدد العهدا هو في الخلود يعانق المجدا
هو في الجنان يسامر الورددا هو في النشيد يصوغه عقدا
هامت عرائس شعره وجددا يبكين فيه الشاعر الفرددا
وجرى النسيم بذكره ندا إن النسيم بذكره غانم

غنى لنا دهرًا فأصبانا وبكى على الماضي فأبكانا

هل للهبأ المنثور ما كانا

قم واسقنا من خمرة الحب واعزف على قيثارة الصب
هذي بقاياها على الترب طرحت بلا روح ولا قلب
والهفة الفصحى على القطب وعلى هدير الجدول العذب
أمعلل الأحباب بالقرب إن الحبيب من النوى واجم
شعر الأمير أجارك الصبر لا أنت مؤنسنا ولا الذكر

لأرى الأسى أضناك يا شعر

أرض الكنانة من يعزيها من بعد ما أصفت نواديها
فلقد مررت على مغانيها فرأيت دمعاً في مآقيها
كان النخيل يُظلل شاديها واليوم جرداء روابيها
سكن الحنين بسفح واديها فعلى الحنين تحية الراحم

* * *

لبنان الحنون

حيا الحيا لبنان روض البها
وصافحته الشمس عند الصباح
طود أثيل النبات عالي الذرى
لم يثنه في الشيب هول الكفاح
فليس في لبنان إلا الصِّبا
وليس في لبنان إلا الملاح
يا أهل لبنان كفى منة
ما في شذا أدواحه من سماح
وان يبض الصخر قطر الندى
وان تؤاسي الصب ذات الجناح
* * *
يا ليتني الأرزة فوق الريى الـ
شماء، لا تصفر وقت الخريف

منازل للطير أغصانها
خضراء تزري بالبلاط المنيف
ان مرّ فيها الظاعنون الضحى
جادت عليهم بالظليل الوريث
لا ينشر الأفياء إلا العلى
ولا يهز العطف إلا الشريف
لو لم يكن في الكون ظل لكا
ن الغاب قفراً والهجير مخيف
* * *
يا ليتني ورقاء وادي الحمى
لا تهجر المخزون حتى يطيب
ما تملك الأطيوار الا الغنا
تبدي به في الشجو عطفاً عجيب
ورقاء غني لا جفاك الكرى
ولا أذاب السقم روح الحبيب

هذا ارتدى بالحسن بعد الونى
وذا طروب كان قبلا كئيب
لو لم يكن في الكون لحن لكا
ن الجو قفراً والأغاني نحيب

* * *

يا ليتني الزهرة رمز الولا
نجوى الأمانى في ثغور عذاب
أما ترى الروضة مروية
تجود بالآلاء جود السحاب
هذا عبير الروض ملء الفضا
وما يزال الطيب ملء الإهاب
يا زهر رقه عن صدور الورى
يا زهر في عطفك لين الجواب
لو لم يكن في الكون زهر لكا
ن الروض قفراً والخزamy تراب

* * *

يا ليتني لألاء نهر «الصفاء»^(١)
أنى جرى مجراه يشفي الأوام
عذب خفيف الجري غمر الندى
والمورد العذب شفاء السقام
يا نهر بارِ الريح جوداً على الـ
ققار، لا تَسْتَدِّ إِلَّا الغمام
من لم يهب مما حباه العلي
فقل على الرحمة فيه السلام
لو لم يكن في الكون ري لكا
ن المرج قفراً والجواري ضرام
* * *
يا ليتني في الفضل شمس الضحى
حرب على الظلماء لا تستنيم

(١) الصفاء : نبع في لبنان قرب عين زحلثا، يتكون منه نهر الدامور،
وقد جرّ الأمير بشير الشهابي الثاني مياهه إلى بيت الدين وجوارها.

كأنها والكون إذ تنجلي
أمّ تهاوت فوق مهد الفطيم
تجفف الدمعة في خده
وملء عينيها الغرام القديم
فخذ من الآلاء حظ الجنا
ن النضر واعطف عطفهن العميم
أكرم بأهل الفضل في ذا الحمى
لا يتركون الفضل قفراً يتيم

* * *

فدعوني على الخميعة أعدو

طلع الزهر في نديّ جناه
وانتشى القلب من رحيق دنانه
مرحباً بالربيع، إن هو غنى
أو بكى عاشقيه في نيسانه
لم يغب وجهه الجميل ولكن
كان في القلب ماثلاً لعيناه
أقبل السوسن المثلث يبيدي
لاعج الشوق في ندى أجفانه
مزق الوجد عن سناه نقاباً
فبدا في ارتعاشه وافتنانه
فهو بين الغصون جمر تلظى
وهو مثل الفؤاد في خفقانه

عزّ بعد الهوان والذل، مرعى
لتهاديه في الريى وهوانه
والمروج الخضراء ماجت خمراً
واحتفاء تلج في تبيانهُ
كلما هب من شذاه نسيم
هاجها شوقها إلى أغصانه
وشقيق النعمان لا يتوانى
عن شكاة من فاتني نعمانه
والهزار الغريد يمرح في الأفـ
ق طروباً يفتنّ في أحنانه
* * *
فدعوني على الخميّلة أعدو
مثل عدو الوليد مع حُملانه
* * *

نَجْم

أقول لنجم في السماء يلوح لي

أأنت حديثُ العهد أم كنت سابقاً؟

ألا إنني روحٌ تجليت في العلا

وقد كنت في الدنيا محباً مفارقاً!

* * *

الياسمين

ألياسمين وقد تفتت — ح في فؤادك مثله
لا يحتوي طيباً إذا — لم يشتملنا ظله
الطيب منك رسالة — والياسمين أهله
فكانك الروض ضحى — وكان نكرك نحله
يهفو فيرتشف الحلا — وة والصبابة شغله

* * *

أنت أنسي إذا شعرت بروحي — نسمة العطف في الأضالع تسري
أفسد الأدياء صفوة كأسى — وتبسمت فانجلي ليل عسري

* * *

مئنت وحشتي أنساً — وانجلي الهم الدفين
وهفت بيض الأماني — فشفت وجد الحزين
كدت من ياسي أش — لك الأمس في نور اليقين
يا أناشيد الهوى عو — دي إلى الصب المهين

أشرق العدل ولاح الحـ
يا وقى الله الأمير الشـ
صُعق الأنذال يوم الجـ
حسبهم ما نلت منهم
هم كالسوس أضروا
هاتها صفوة خمر
يا رعى الرحمن عهداً
لك بغداد علينا
ق في الصبح المبين
هم من مكر اللعين
هر بالصدق المكين
من حزازات بلين
بعماد الراشدين
في كؤوس المنشدين
هو عهد الصالحين
نمة الفضل المعين

* * *

الشاعرة

دفعتُ بشعري باب الخلود
فألفيتني بين حور الجنان
أنا الشعر تشدو به لهفة
أعني لتصغي وحوش الفلاة
وماذا على الشعر لو أنني
أصور رسماً له روحها
فإني من الطير قد حلقتُ
تسابق لحن الصبا والفضا
هو الشعر روح الحياة وهل
يتعني الوحي ما أشبهت
فأشربها والهوى قبلي
فإن كان ذنبي هذا الغناء
فحسبي من الفن ألا أكون

وحطمت مزلاجه ساهية
يقبلن جبتهى العالیه
فتطرب في الظلمة الداجية
وتأنس بالرقعة الطامیه
صبوت إلى الرحمة الفاغية
جناحاه من رحمة ضافية
لتحيا مسهدة هاذیه
مليء من الفرحة الزاكية
تروق بغير الهوى قافية
كواكبه النجمة الهاوية
يصب بأقداحه ثانیة
أناشد فيه المنى الباقية
سوى النار والنسمة الجانية

* * *

بلا عنوان

أنا طائر للأرض أنزل أبتغي

قوتاً يساعدي على الطيران

إن دوحة نزلت بأعماق الشرى

فلكي تنال تعالي الأغصان

* * *

الحُبُّ

يا واهب العشاق نضرته
كالزهر يلهب حسنه ورقه
لا فرق إلا الطيب بينهما
وبما تفرد جَلَّ من خلقه
كل يباري في بدائعه
محبوبه ذاك الذي علقه
غاص الورى في موجة دفعت
من سحره لما اصطلوا حدقه
ووقفت عند الشط أرقبه
فإذا أنا في قاعه غرقه
لا السهد من دأبي ولا شيمي
لكن طيفاً في الحشا طرقه

ما الحب أن ترجو مواصلة
أو أن تظل الدهرَ من عشقه
الحب معنى لست تدركه
ما لم ترَ الأنوارَ منبثقه
* * *

مأتم الورد

علام الروض يكسوه حداد
وأجفان الأقاحي في اغتماض
وأوراق السحاب عليه تهمني
وعصف الريح يزفر في الغياض
أهذا مأتم للورد أم ذا
دبيب الشوق في جسم الرياض؟

* * *

أحلام

رأية الحب ابتسام ودموع
خفقت فوق سفين من ضلوع
ذاهب في اليم باسم الله ما
فمضى، والموج يحكي سلماً
نُسجت ما بين يأس وأمل
تاه في لجج الهوى منذ الأزل
يتقي فيه سبيل الجاهل
يرتقيه رغم كيد العاذل

* * *

قف بنا فوق المعاني يا سفين
نغمر الآفاق شوقاً وحنين
ونجيل الطرف في ثغر بسيم
ماثل في صفحة الوجه الوسيم
والق بالمرساة عند المشتري
بشعاع الفرقد المنتثر
أذهلت نجواه لبّ العابد
سورة الحب بحرف واحد
يبعث الروح بروض ذابل
جمعت بين نضيد ورخيم

* * *

هل ترى يا صاح مثلي عاشقاً
أو ترى مثل فوادي خافقاً
إن في معنى التهادي عجباً
ذاهل اللب نزوعاً للخيال
لعبير أو جناح أو هلال
كل محبوب على الكون أمير

فإذا هبت نسيمات الصبا يتناشدين على سطح الغدير
تلت الأرواح ما قد كتبنا فانتشت بالشعر لا بالبابلي

* * *

ما لهذا البحر يحكي مغرماً تارة يصفو وطوراً يكفهـر
تعبث الأنواء فيه مثلما تعبث الذكري بروع مستقر
إن قضى الدهر علينا بالبعد لم يجد قلبي سوى أن يخفقا
أو قضى مرّ التناهي بالسهاد حسبي الموج زميلاً في الشقا
دأب عال وتفتيت الجماد وضلال المستهام الغافل

* * *

أعذب النجوى عتاب مزجت نظرات اللين فيه بالغضب
أيّ عهدٍ لبت شعري قطعت للهوى روعي ولم ترع الأدب
أيها الغائب دعني ليس في ما تراه من ذنوبي مآثم
ما ترى إني لك الخل الوفي لم يفقتني في هواه مغرم
إنما ذنبي بمعناه الخفي أن أثير الشوق شوق الذاهل

* * *

هيكل الحب وقد شط المزار هل لنا من عودة ترجى إليك
كنت يا قلب بهاتيك الديار فغدت ساكنة في جانبك

تلكموا أنفاسنا المشتعلة
لم تزل تذكو بذياك الفضاء
تلك نجوانا به مسترسله
لم تزل تسمو بأرجاء الخباء
تلك آيات البيان المنزله
قد خلت من كل لغو باطل

* * *

فجع البين غرامي بالصباح
فانزوى يندب آمالاً عذاب
سكبوا في كأسه نهلة راح
ثم قالوا حسبه منها الحباب
صبحه قد حال ليلاً وغدا
روضه الزاهر قفراً بلقعا
كلما حن هزار أو شدا
لم يذر في مقلتيه أدمعا
كيف لا تشكو العيون الرمدا
وهي عن صحتها في شاغل؟

* * *

يا رعى الله أويقات اللقاء
كم بذكراها أضعنا من سنين
لحظات كنّ ناراً وضياء
ليتها كانت ظلاماً لا يبين
لو عرفنا ما سنلقى بعدها
من فراق وخفوق وعذاب
لرغبنا عن متاع عهدها
وغنينا عن غرام وشراب
وقتعنا بالأمانى وحدها
وعباب من لجين سائل

* * *

ظلم

رفعت لواء للخفوق جوانحي
قد كان لي قلب إذا هاض الكرى
واليوم لا وسن يخدر مقلتي
من يشتري قلباً ويمنحني حشاً
كي تلتقي الأجفان بعد شتاتها
قلب إذا سدل الظلام نقابه
خفق كموج البحر في جيشانه
صور تمر على اختلاف شؤونها
أقصر حديثك يا فؤاد فإنني
ما كنت مهذاراً بعهد سالف
ما أنت تهوى كي تساهر كوكباً
لو كنت أفقه ما الذي تفضي به
أفصح فقد فعل الوجيب بمهجتي
يربو على الأنواء في عصفاته
جفني، نهاه الكبر عن يقظاته
أو يردع المصدوع عن زفراته
لم يبلها طعن الأسي بقناته
ويلين للمغدور عطف أساته
جزعت عليه الطير من رعشاته
نبض كسلك البرق في نبضاته
عرضت حياة القلب في نزواته
أخشى انفجار النار من كراته
أين الوقار وأين ظل هدايته
تتراوح الأطياف في ومضاته
لنشرت برد الوشي من نفثاته
ما ليس يفعله الهوى بقواته

شوق وهل تشنق من عصفت بها
ريح الإباء وطرزت آياته
ماذا يفيد الشوق في عصر غدا
عمر الوفا وقفاً على قبلاته
لو كان يدري الناس حقاً ما الهوى
لسموا به ولقدسوا جمراته
ما كل من ذاق الشفاه بناهلي
ورداً يذكي طهره نزعاته
عللت قلبي باليراع وأنسه
كي لا تمازح نقمة بدواته
فإذا جناحك يا فؤادي مخضب
وإذا الدماء تسيل من جنباته

* * *

يا ظلم جردت الحمى أعلامه
ومنعت جود الله عن جناته
أسفي على قطر ينفر آله
وعنت فطاحله لحكم بغاته
إن أمه الغرياء أمطرهم ندى
واخضر عود الند في قلوته
وينوه يطوون المجاهل والفضا
ونفوسهم تصبو إلى نسماته
إن رحمت أبكي إنما أبكي على
قطر تمزقه سيوف حماته

* * *

الفجر

يا وردتي من ذا سقاك الندى
وبث أسرار الهوى في العيون
وأيقظت أنفاسه سحره
هذي الأقاحي الساحرات الجفون
من ذا الذي وافى على غرة
فهاجت الأرواح بعد السكون
وأفرغ الأطياب في روضة
عطفاً على العود الشجيّ الحزين
وأشعل الأضواء فوق الريى
وأنعش الصادي وفك السجين؟

* * *

من ألبس الوادي وشاح البها
وعلم الأطيّار هذي الفنون
وفضض الأمواج كي تجلي
مرآتها عند انحناء الغصون

* * *

هل للندی والسجع أم للضيا
يا وردتي أم للشذا تبسمين
إن كنت نشوى الطل لا تبخلي
أو كنت نشوى السجع لم تضميرين؟!
أنا حبيبي الفجر بين الورى
ويا لنا للفجر من عاشقين
أهوى انبثاق النور يا وردتي
وأكره الظلماء والظالمين

* * *

يا ليت فجرى بعد ليلي بدا
إنن لفقت الورد والياسمين
لأطربت أوتار قيثارتي
شيخاً طوى عهد الصبا والحنين
وجددت عهدي دواعي المنى
وفاح عطري بين حين وحين
* * *

المذيع

إن تذيعي نعمة الحب فلا
موجة الشوق وما يطفو على
كلها تحمل أنباء الهوى
وعلى السحب تجرّ الذيل في
في ظلام الليل أيدٍ خفيت
تتمطى فعل سكران على
لو يطيق القلب لاستنزفته
تلك أشواقى على متن الهوى
كلما حاولت نسيان الهوى

* * *

أيها الخفاق في عرض الفضاء
ناشراً ألوية الزهو على
فوق معنى الطير رهن النزوات
وحشة الليل وصمت الفلوات

ثملاً والعين منه جذوة بين أرقام كأهداب المهابة
جامعاً ما بين أرواح الصبا وقلوب سامها ضرّ الشتات
لوذعي يفقه الرمز وما أودع القلب حفيف النسמת
عقد الأنس على أسلاكه قبة تأوي إليها النغمات
تجمع الأزمان والبلدان في رقعة دون اتساع الرقعات
أنهر سود كحيات لها في سكون الليل بيض الحسنات
دفقات النار فيها جدول صاخب الأمواج عالي الوثبات
معجزات الفن أنطقن الهوا كبر الجن لتلك المعجزات

* * *

أيها المصلوب لا ذنب ولا خامرت لبك أغراض الأذاة
يا رسول الحب في البعد وفي طرب القلب، وسحر اللفتات
سجل العهد وبلغ من نأى أن للأشواق في الجور رواة!

* * *

ألا يا بحرُ..

هديرك أم أنين الظاعينا وموجك أم دموع الواجدينا
ألا يا بحر حدثني فأشكو عسانا نلتقي روحاً ودينا
أتهتاج الزوابع منك قلباً شقيقاً مانجاً عطفاً ولينا
فيخفق قلبك الخفاق حيناً ويعبس وجهك الواضح حيناً
وتفصلك الشواطئ عن حبيب وترعى عهده رعيأً أميناً
وتحيي الليل همهمة ووجداً معيداً نكريات الغابرينا
أيشقى مثل شقوتنا خضمً ويجهد مثل جهد العالمينا

* * *

ألا يا بحر كم أضفيت عرفاً وكم هاجت لواعجك الحنينا
وكم لمعت بصفحتك الدراري تسامرها عيون العاشقينا
وكم لثمت شفاهك من ثغور مرطبة هيام الظامنينا

وكم جيد نثرت عليه دراً تجمّد من دموع الغارقينا
وكم وارىت من قلب كئيب تحول فيك مرجاناً ثمينا
غمرت الناس فضلاً لا يضاهاى وأجزلت الندى للرائديننا
ولكني على فقري أجي نوالاً دون سُؤل السائلينا
مناي الموجة البيضاء تذري على روعي صفاء الراقديننا

* * *

إلى القمر

يا أيها القمر المختال في الأفق
رفيق كل شريد دائم القلق
حبيب كل كئيب لا حبيب له
نجي يوشع في الأهوال والفرق
إن كنت خلواً جماداً لا حياة به
ولا بلايل في الأغصان والورق
أو كنت لا كوثرأ تجري منابعه
بين الهضاب وبين الورد والحبق
فأنت طيف لصب شاعر دنف
يهيم في الظلمة العمياء بالطرق
كأنه بين أحياء النجوم إذا
عمَّ الهدوء وحانت ساعة الغسق
يقلب الطرف في ما حوله شغفاً
بكل روض ونجم فاتن الحدق

يزيده الشوق نيراناً فيطلقها

ملء الفضاء بوجي الوجد في الحدق

* * *

ترى شعاعك من نور الشموس همى

أم من شعاع عيون همن بالأفق

أم أنت بحر ضياء لا حدود له

تدفق النور من شطيه في الشفق

تجري الأمانى فيه وهي سابعة

جري القوارب في أمواجه الزرق

* * *

أخال واديك في الأمساء أندية

تضم نخبة أهل الفن والعشق

فما رفعت إليك الطرف ناعسة

إلا لمحتهم في كل مفترق

فتلك أعينهم أنوارها اجتمعت

في عينك الثرة النجلاء بالأرق

* * *

عروسُ الشعر

عروسةٌ شعري أين أنتِ فنلتقي

لقد زاد بعد الهجر حرُّ التشوق

تبعتكِ لا أدري مكانك إنما

لمحتكِ ليلاً بين ظل ورونق

فهمتُ بوادي الشعر أنشدك الهوى

وقلتُ أيا كأس الغرام تدفقي

وسرعان ما غاب الخيال مودعاً

فأصبح شغلي بالحنين الذي بقي

* * *

سألت نجوم الليل عنك فخلتها

عيوناً تغاضت عن ضياك لتتقي

وساءلت أزهار الربى: هل عشقتها

فقالَت بلى! لكنها لم توفق

وساءلت غصن البان قال سرقتها

ألا إنها إن تأمر القلب يخفق

وقهقهت الأنهار هاتفة بنا

لقد كانت الحسناء تأتي فتستقي

ولكنها غابت عن العين بعد ما

أساء إلى عشاقها كل أخرق

* * *

صحراء

هلاً علمت بأن قلبي قبل أن
يغريه حبك كان كالصحراء؟
لا واحة فيه ترفُ بظلمها
ظير الفلاطرياً على الأرجاء
هيا انظري ما قد خلقت على المد
ى من أعجب الأحوال والآراء
حتى البوادي قد تبدت روضة
خضراء طيبة الشذا والماء
ولو ان أهل الربع حلوا ساحها
لسرت إليهم نفحة الأفياء

* * *

الربيع

بعثت المنى والدهر خلّ مساعف
أيا زهر، والمشتاق راج وخائف
كأن الدراري في خيالي طيوفه
إذا نمت ناداني من الغيب واجف
وقلت لربيع في الجبال معرس
وقد سترت بالثلج تلك المشارف
وميض بشعري مؤذن بصباحه
ونار بقلبي والسحاب تكاتف
دعوني أكن زهر الربيع فإنه
ليغمره ثلج ويحييه هاتف
أفاق على شدو الهزار مضمخاً
بأطيبه، لله تلك المعاطف
فأبدع، والفن المخلد نشوة
وصور، والروح المشرد هاتف

غصون إذا حل الربيع بظلمها
ترامت إلى الرقص الدمى
فأمسكن بالأيدي يقربن بينها
ومن حولها الأطيوار، تلك المعازف
فجددن عهد الأنس غض شبابه
ونابت عن القفر الجديب الطرائف
فلا ترب إلا اخضرَّ جلوا خريده
ولا غصن إلا دغدغته الهواتف
كأن هيام الريح جنَّ جنونها
بشائر وحي أو حبيب يكشف
تمدّ له الأغصان أفياء وشيها
فتزهى أماليد الشّام الرفارف
إذا حفلت روض الشّام دعونني
فأقبلت أطري حسنها لا أخالف
أناشد في عرس الربيع حمامة
تغرد للأزهار والطيب عاصف

وادي الهوى

ربوع زحلة، حيا الله مغناها
وزادها من غواصي الفضل أسناها
واديك وادي الهوى هاجت بلايله
على الغصون فما تهذا حناياها
صفا الزلال وطاب الكرم واضطرت
جوانب السفح إشعاعاً وأمواها
كم نزهة بضاف النهر يذكرها
كأنها مزجت بالراح نكراها
ربوع زحلة هاتي الكرم نعصره
فإن فيه أحاديثاً طويهاها
كانت بنا . ربحاً . للحسن جولته
فليغفر الله للحسن الذي تاهها
لم يبق منها سوى الآثار تنثرها
ريح الصباية . والآفاق مسراها

* * *

لله ذكرى الهوى يوم التقيت بها
تجلي السواد عن الآمال عيناها
أشتاق طلعتها ما البعد فرقتنا
يا ليت للشوق حداً حين ألقاها
استعذب الطغنة النجلاء من يدها
وأستطيل مدى الأيام لولاها
وأطلق العين ترعى في محاسنها
وأملأ القلب من ترديد ذكراها
مواطن الروح لا جفت جوانحنا
شوقاً إليك ولا قررت حمياها

* * *

يا روعة الجبل الشماء قمته
يا حبذا منك متواها ومغداها
تأوي الدراري إليها في دجى حلك
يشوقهن ظلال في زواياها
يرقصن حيناً على الأمواج في وله
والنهر ينشدهن اللحن تياها
أو ينحدرن إلى شُم الجبال وما
يطأن أجرد إلا اخضراً أو باهى

أو ينسلن إلى الغابات نائمة
يوقظن فيهن أرواحاً وأشباها
هذي العاقيد من راح ومن ثمل
رجوعهن إليها كل دنياها
كانت لهن عقوداً يزدھين بها
من قبل أن تصبح الأغصان مهواها
حتى إذا انجاب ستر الليل وانهزمت
جيوشهن وبات الغيب مثواها
نسينها آن لاح الفجر مفتضاً
دموعهن التي غمت حفاياها
كروم زحلة نامي فالنجوم هنا
يقظي وهددة الأمواج أشجاها

* * *

إلى فاطمة^(١)

- ١ -

سكرت بخمر الله من نبعة الهوى
مشعشعةً بالنور والعطر والندى
معتقة رغم اخضرار دنانها
مصورة في كل غصن تأودا
فكل مغنّ لم يذق طعمها هنا
وكل غويّ عبّ من كأسها اهتدى
حصان كأقداح الشراب وضاعة
ووشي ربيع في سطور تجدّدا
تجيل عيوناً فيك وهي مشيخة
فتعلن ما يخفى وتكتم ما بدا

(١) هي الشريفة الأنسة فاطمة اليشرطية كريمة الشيخ علي اليشرطي رأس الطريقة الشاذلية في مدينة عكا بفلسطين.

فخذ من يد الحسنة مترعة بما
أفاض عليها القلب من رجعة الصدى

- ٢ -

حلا السهاد وطاب الأتس والسمرُ
وأقبل البدر في ركب الألى سفروا
يطلُّ من غابة خضراء وارفة
يزيد في حسننها التغريد والعطر
ألقى عليها حبلاً من مفاتنه
يكاد منها ظلام الليل يستعر
مضى الزمان ولم تذهب نضارتها
كأنما قد سقاها الحب والذكر
أمتها ونجوم الأفق قافلة
دليلها البدر يبدو ثم يستتر
تهيم في رجة الآفاق شاردة
هيام ظعن إذا لاح الدجى نفروا
بعض فرادى وبعض بينها زمر
في مثل إلفة عشاق لهم بصر

ورحت أصغي فما زاد الحديث على
قول النسيم بأن الصبح يزدهر
وأن فاطمة الزهراء طلعتَه
في بردتها توارى الشمس والقمر
صوفية القلب ملء العين أفرغها
في قالب أشرقت في صوغه الغرر
هي الشباب وما غصّ الشباب سوى
نضارة القلب إذ تسمو بها الفكر
كأنما لمسات الخير بادية
على محياك أمواج لها صور
من كل عاطفة شماء راوية
روائع الفضل لا لغو ولا هذر
شبه المياه على اللألاء دافقة
بين الخمائل والأزهار تبتدر
هوى الفواطم بعض الدين متعته
إن الفؤاد برياً الحب مختمر

* * *

لما رأيت جميع الصحب قد هتفوا
جهرًا بفضلك خلت الطير تعتذر

لظالما حسدت ما راق مسمعها
من كل معنى شريف اللفظ مبتكر
أنت الهتوف وترجيع الحمائم ما
بين الغصون صدى الأحباب ما شعروا
لو قد ملكت من العقيان ما ملكت
يمناك من نعمة الأفضال تنهمر
لكنت أثرى من الأكوان كلهم
وكان كل شعاع فيك ينحصر
يا بسمه بشفاه الفجر بارقة
من ذا رآك ولم يفتن له بصر
لولاك لم يبق لي في الربيع من ثقة
أو حسن ظن ولي من فعلهم عذر
أسائل النفس إذ أصغي للوئهم
أليس بين الورى شهم إذا ذكروا
حتى طلعت على الآفاق في سحر
فكان للفجر من أنوارك الظفر
ما أنت إلا نسيم الروض هباً على
الأغصان ينعشها والوهج مستعر

هفا الكئيب إلى ناديك فانقشعت
عنه الغيوم ولاح الفجر واليسر
فما لقيناك إلا استأنست كبد
ولا ذكرناك إلا هاجنا الأثر
الأنس عندك تسبيح يرافقه
شدو الهزار ونجوى الله والصور
لله فرعك في العلياء متصلاً
بجنة الخلد يعلي مجده القدر
كأن عينيك في الجنات ناظرة
أنى التفت يشع النور والزهر
أشتاق ظلك ممدوداً على سعة
يومه في الهجير البدو والحضر

* * *

أحمد شاكر الكرمي^(١)

حُرمتَ حنان الأم والأخت والصفاء
وعشتَ غريباً خافق القلب نائياً
ولما عراك الداء لم يجدِ طبهم
ولا عرفوا سرّاً لدائك شافياً
تركتَ بجو الدار أبهج صورة
وقد صنتها بعد العباد تفادياً
كأنك باقٍ لم تغب عن عيوننا
ولا عصفت ريح تززع نادياً
فلما دهاك الموت أصبحت لا أرى
سوى القبر ملهوف الجوانح بادياً

(١) أحمد شاكر الكرمي أديب وناقد و مترجم فلسطيني الأصل، ولد في (طولكرم)، ودرس في الأزهر، وعاش في دمشق حيث أصدر جريدة (الميزان) عام ١٩٢٥. توفي بداء الصدر عام ١٩٢٧ وكان أحد كتّاب مجلة «العروس».

تضمك أم كنت قرّة عينها
وكنت إليها تائق النفس صاديا
ومن حوله نهر من الدمع صاخب
تفرع من كل العيون سواقيا
وكنت أمني النفس أن سوف نلتقي
وأن ليس بدّ من رجوعك ثانيا
فأهرقت كأسي لا أريد تعلقاً
بجبل حياة لم تذر قط صاحيا

لعلّ للأرواح

بيني وبين الشعر عهد على طول المدى أصبو إلى عذبه
تزاحم الأحلام في خاطري تزاحم الأشجان في نهبه
يلوح في عيني عهد الصبّا ما غرد القمري في دربه
أطيباه فائحة روضها تجري به الأنهار في دربه
غاب ظليل ظلّه خمرة ولو همت سيلاً على ثوبه
ظل ظليل فيؤه رحمة وإن طفا المدرار في وهبه
وبدره نور يشق الدجى وماؤه الصهباء في نوبه
يا للقوافي يوم تجلى المنى برؤية المحبوب في قربه
محدثات عن هوى شاعر للنجم للريحان في خصبه
لليلة القمرء في جودها للجانح المكلوم في نصبه
لنا جمال الكون أنشودة تعيدها الأصداء في رحبه
مهيبة بالناس آياتها فيمن خبا الإحساس في قلبه
لعلّ للأرواح من يقظة يشدو بها الخفاق في كربه

* * *

غناء الطير

قيل لي والعين زاهلة إن تغني تُلهمي الدهرا
أتغني الطير من طرب وهي في أقفاصها أسرى
ما تركت الشعر عن ملل غير أنني لا أرى شعرا
فجناح هاج هائجه وجناح قد وهى كسرا

* * *

اعصفي يا ريح لا تَدري في الربى زهراً ولا عطرا
وابعثي الأنفاس باردة جمداً يستوقف النهار
وأثيري الوجد كامنة واهصري آمالنا هصرا
فأنا يا ريح باقية للمنى للشوق للذكرى
أغرس الأزهار في حلمي علّ من أرواحها نشرا

* * *

الطبيعة

ما لهذي الرّبي تَضَوّع عطراً
ما لتلك الكروم متكئاتٍ
مُتَع كُلُّها الحياة فروض
قل لمن باكر الرياض صباحاً
أذكَرَنَ الأحباب شوقاً فطبنا؟!
أتراهنَّ قد سكرنَ فتمنا؟!
وخمار وجوقة تتغفّى
قد حباك الربيعُ ما تتمنى

* * *

ما لهذا الغدير نشوان يهذي
هائماً في الهضاب يمشي الهوينى
أبنات الأثير كنّ قديماً
فاتخذن الكهوف سترًا فكان الـ
مثل صبّ جرى وراء حبيبه
قهقهاتُ الحصباء ملء جيبه
قد عشقن السحاب وقت نسيه
نهر دفقاً من وهجها وصبيبه

* * *

ما لهذي الغصون لم تخف سراً
كم هزارٍ بنى عليها فغنى
من أحاديث تحت خضر الظلال
وفرشٍ يحوم حول اللآلي

حدثيني أيا ظلالُ فإني
في فؤادي حفيف غصن ولكن
سَمع مرهف وهمّ موال
لا هزار ولا فراش يبالي

* * *

ما لهذا الجهام في الأفق يبدو
هل رأى في المنام روضاً تجلى
مغمض العين لا هدى في مسيره
في هضاب مرصعاً بنميره
أم تراه يطوف بين الدراري
أي نجم زاهي الوضاءة يبقى
باحثاً عن عهد حب سميره
قانعاً بالإسار حجباً لنوره

* * *

ما لهذي الجبال محدودبات
أتراها عند السحاب شفيفاً
جائياتٍ على عتوّ الزمان
يسأل الرفق بالرياض الحسان
هل تذكّرَنَ يومَ كنّ مروجاً
ساطعاتٍ بالورد والأقحوان؟
مدفن الهم لا حرمت حبيباً
لا زكاً فيك غير زرع الأمان

* * *

ما لهذا الخليج يزداد غياً
أتراه يشنق خضر الشواطئ
لهثات العناء فوق أديمه
فترامى على ضفاف نعيمه؟

زرقة الماء واحمرار الأقاحي واخضرار النقا وفوح نسيمه
صفحة خطها الجمال فكانت في حواشي الفضا حديث نديمه

* * *

ما لهذي النجوم مضطربات يتلصصن من ثقوب خفيّة
جمرات في موقد الله تُصلى أم عيون يشهدن حزن البريه
أنت في أكبد الحزانى عزاء وغزاة سلبن نومي عشيه
إن يك الشوق للنجوم ضلالاً فمن الشوق نشوة سحريه

* * *

ما لهذي البيداء صفراء ولهي تشفق الطير فوقها إن تغني
أتراها من فرقة الدوح تشكو أم ترى البيد هيكلاً للتمني
أنت في عزلة التصوّف دوماً تعبدن النجوم ليلاً وإني
من رأى النجم قد تساقط حلماً قد رأى القفر فيه ظلاً لفني

* * *

ما لهذي الغيوم تشتد جرياً قُربُ الماءِ قد علون المناكب
أجوار إذا أراد اغتسالاً شجر الأيك في نسيج العناكب

يا زهرٍ إذا استحم صباحاً وغصونٍ قد جففتها الكواكب
بصبصت أعين الطيور وودت لو ترى الروض من خلال السحاب

* * *

ما لهذي الزهور منحنياتٍ مطرقات رؤوسهن اكتئابا
هل يفكرن في الليالي الخوالي يوم كانت غصونهن رطابا
أم تشاقلن بالندى فتمشيت نشوة الخمر في العروق اصطخابا
ارفعي الرأس يا زهور وميدي إن قطر الندى يفيض انسكابا

* * *

الأدواح

حَدَّثَنِي فَإِنَّا شُرَكَاءُ أَسْعِدْنِي يَا دُوحَ حَانَ اللَّقَاءِ
نَحْنُ صَنَوَانٍ فِي سَهَادٍ وَوَجْدٍ وَبِنَا هَزَّةَ الْعُلَى وَالْوَفَاءِ
عَشَشَ الطَّيْرُ فِي غَصُونِكَ حَتَّى قَدْ غَدَا فِي صَدَى الْحَفِيفِ غَنَاءِ
وَفُؤَادِي مِثْلَ الْغَصُونِ فَشَدَّوْ وَمِرَاحٍ وَعِزَّةً وَأَنْتَ شَاءِ
عَصَفَتْ فِيهِ عَاصِفَاتُ الْأَمَانِي خَائِقًا مَلَأَ جَانِبِيهِ سَخَاءِ
يَهْجَعُ الْكُونُ وَالِدِيَّاجِي سَفُورًا وَيَعْمُ السُّكُونُ بِلَهَةِ الصَّفَاءِ
فَنَجَاجِي الْحَبِيبِ وَهُوَ بَعِيدٌ وَإِذَا نَحْنُ وَالسَّهْمَى أَقْرَبَاءِ
فَإِذَا الْبَدْرُ زَانَا بَعْضَ حِينٍ أَشْرَقَتْ فِي ضِيَائِهِ الْأَفْيَاءِ
وَإِذَا اسْتَوْهَبَ النَّسِيمُ عَيْبِرًا مِنْ شَذَانَا أَوْ هَبَّتِ الْأَنْوَاءِ
وَمَلَأْنَا الْكُوُوسَ طَلًّا صَفِيًّا وَأَفَاضَتْ بِسَرِّهَا الصَّهْبَاءِ
رَاحَ بِالطَّيْبِ مَثْقَلًا يَتَهَادَى وَاسْتَجَادَتْ حَفِيفَهُ الْأَصْدَاءِ

* * *

والعود أحمدُ

ألبسوني من الشباب جديداً
واسكبوا لي من الرحيق كؤوساً
وارفعوا في السماء أقواس نصرٍ
فلقد عاد من أحبّ بليلٍ
ربّ يومٍ نضحك القلب فيه
لبست غوطتي رداء قشيباً
هي روضٌ والروض يحنو عليه
لم تذر شدة المظالم فيها
فسقاها الأمير من غيثٍ جودٍ
صاح فينا والجهل عمّ انتشاراً
قد وقفتم على الحضيض وطارت
ما لحظ الأنام نجمٌ سعيدٌ

واجعلوني فدى المعالي شهيدا
إن في رنة الكؤوس نشيدا
واملأوا ساحة الفضا تغريدا
فجره هدد الدجى تهديدا
قد دعاه التاريخ عيداً سعيداً
واستعارت من الغرام وروداً
بلبلٌ ينظم الأمانى قصيدا
نضر عيشٍ بل احتوتها لحوذا
وكساها من الفخار عقوداً
انشدوا العلم أو تظلوا عبيدا
مركبات تطوي الريا والبيدا
إنما الجهل يجعل البيض سودا

تلك كفّ الأمير للنور تجلو صار للفتح مؤثلاً وعميدا

* * *

وعلى القبر إن مررتم فحيّوا إنما الذكر يبعث التجديدا

أيقظوهم لعل فيهم عيوناً تبصر المجد قد كفاهم رقودا

واذكروهم على الدوام بدمعٍ ما علت راية الأمير صعيدا

يهتف اللحد إن تدانى ليحيا وإذا شاقنا يحيي الجدودا

* * *

أنى للموت ما زعم؟..

طرب الدهر للقريض وصفق
وشفى القلب بالشراب المعتق
سفح الخلد بعد ألف تقصت
فضلة الكأس في الرميم فأورق
عجباً للضريح يصبح روضاً!
تتحدى الطيور فيه وتأرق
أيهذا الخمار في كل قلب!
ثمّل الجو بالشذى فتألق
موكب النصر قد قدم
عازفاً أطرب النغم
بأنخاً كان مجده
طأطني أيها القمم

* * *

سرحة الخلد قد توشّت رباها
بالأزاهير عاطرات الثغور
ها هي الحور حوله راقصات
يتراشقن بالجنى والنشير
سابحات بالنور، بالطيب يجري
وظلال الرؤى، حيال السرير
صدحات القرار في مسمع الخلد
ومجد الآباء ملء الدهور
شاقه السبق ساجعا
فانحنى الكون خاشعا

للفتى المفرد العلم

فاضفر الغار ناضرا

لم تضيقى عن الفؤاد المبرح
ولقد طار بالجواد المجنح
ولأمثاله الجنان تُفتَح
من حديث الحبيب يورى ويقدح.
فارس البيد والوعى
أتى للموت ما زَعَم؟

يا جنان الخلود ! إن ضقت باباً
حمل الهمّ والهوى والأمانى
يقرع الباب آمناً بعد روع
حدثينا! فما المدام بأشهى
شاعر الوجد والهوى
يا منايا ترجلي

* * *

العز، والعز صبوة وغمار
أو دعا للجهاد يوماً فخار؟
يتللا كما تللا النهار
وكان الآيات كأس تدار
عن زئير مجلج
واظري أيها الرّمم!

يا نبي الهوى! سماؤك مرعى
هل سرى في الحشا ديبب اشتياق
لم يك للترجمان فيه بيان
فكان الأصداء وقف عليه
حرك الطرس ينجل
أيها الأسدُ زمجري!

* * *

أيها الفارس الشريد المعنى
ما رأى المانتون مثلك صبا
فأتك العرش ، ذاك حظ المغترب!
كلما رام معشر أن يقولوا
يعتلي العرش، وهو رمس مغيب
أجدر الناس بالعروش قريض
قلت عنهم، وكان قولك أطرب
مستبد بالقلب يزهو ويلعب
كان للروض فوجه
ومن الجيش روحه
يا عوالي تقاصري
صاحب الحرب من نظم

* * *

سادر الطرف بين همسٍ ونجوى
إن رأى الطرس هاجه الطرس شوقاً
ما دجا الليل، أو وعى الفجر لحنا
وحشة تسخر الولائد فيها..
كهزارٍ يشقائق عشاً وغصنا
ساخرات من القيود اعتزازاً
عاريات الجسم إنساً وجناً
بارعات الجمال لفظاً ومعنى
يا دراري تألقي
يا قوافي تدفقي
كلما شال بحرهما
شق أسطوله الخضم

* * *

حسدوه على الهموم، وودوا
جاد بالروح لا جبان ولا باغٍ
لو تساوى بالخاملين هبوب
ولكن كما ارتمى الغدليب

ومضات النجوم في ناظريه
بيذل النفس آنفا
والقوافي، وكلهنّ لهيب
إذ يرى الموت واقفا
ملك الجو والأجمّ
ضجّت الأرض إذ هوى

* * *

يهمس القلب، حين لا أذن تصغي
إن روح الحياة يقظة حسّ
همسات الهوى بكل جميل
في ليالٍ موسوسات العقول
سابقاً في عباب لُجّ صقيل
ونديم وظل دوحٍ ظليل
يعبد الحسن مغفلاً ...
يا صبايا! هل الهوى
غير فيض من اللحم؟

* * *

سال سيف البيان وهجاً وحرّاً
وأراق الدماء، ها هي تنزو
أنف الكبرُ أن يعيش مهينا
بين سحرٍ يثير فيها الأتينا
يعتق العبد أو يفك الرهينا!
أترعا وحشة الكؤوس حيننا
فإذا رقّ، رقّ ماء وسحر

دمعة الرفق لم تزل...
تملأ الكأس والمقل
فهي للروح نشوة
روقتها يد القدم

* * *

راح عمر الزمان وهو يقني
بأغانيه يستزِن الدويا
يا وميض البروق في كل داج
أي سرِ جلوت ظل الخفيا
شاعرٌ أنت للعلا والأماني
تترأى في كل عصرٍ فتيا
أخرس الموت صوته، يا لَعْدِ
خَسِيءَ الموت ، ليس يخرس شيئا!
غَـه الشكر يافتى
وانشد العزَّ ما غلا!
ليس من عزَّ بالغنى
مثل من عزَّ بالشمم!

* * *

أعيدي إليّ...

أأيامنا في رياض المنى أعيدي إليّ ابتسام الشباب
فقد أذكرتني زهور الربى كؤوس هوى ظافيات الحباب
إذا العيش لم يبقَ فيه سوى بياض المشيب وذكرى الصباح
فلا كان عيشٌ ولا كان ما تجود الحياة به من سراب

* * *

أعيدي إليّ جنون الصبا فليس جنون الصبا بالجنون
ولكنه الحلم ملء الحشا يمازجه سحر بعض العيون
يهيب بقلبي نداء العلى شجياً يشق حجاب السكون
فإن كان ذا الشيب بدء الردى فما لي وما لغمار الفنون

* * *

أعيدي إليّ هيام الصبا فأمرح ما بين سفح وواد
وأستبق الموج في الصخب لا أراعي نصيحة خلٍّ وهاد

وَأَتِي فنون الطياشة ما حسبت الطياشة عين السداد
ألا رحم الله عهداً خلا وكان الضلال وكان الرشاد

* * *

أعيدي إليّ أغاني الصبا فأنشدك السحر تحت الظلال
ترجّعه الوُزق عالي الصدى معانيه ما بينهنّ سجال
ويجري به النهار طول المدى على معزفٍ رصّعته اللال
بروحي حفيف غصون النقا يردد لحن الهوى والجمال

* * *

أعيدي إليّ نشاط الصبا فأجهد حتى طلوع الصباح
وأحسبني فوق كل الورى نفوذاً ومجداً ولهواً مباح
ومن للخلود ومن للعلى سوى مستهامٍ عزيز الجناح
يغذّي ويروى براح المنى وفي صدره نفحات الأقاخ

* * *

أعيدي إليّ أماني الصبا فألبس تاج المليك القديز
وأبلغ بالفن أعلى الذرى إلى أن يحطم غلُّ الأسيز
وأسخو، وما جفّ كف الندى وأحبو العراء كساء نضيز

فيا للأماني رياح النوى عصفن بها رغم جهدٍ كثيرُ

* * *

تعالى نناجِ ربوع الهوى ونسقى ثراهنَ خمر الشهودُ

فما شرب الفقر إلا اتثنى جناهاً تهافتنَ حمر الوردُ!

تطيب النفوس بذكري الحمى وأطيب ذكري خفوق البنودُ

فهل من رجاء بعود المنى وهل من لقاء يعيد الصدودُ

* * *

تعالى نجددُ عهد الصفا ونفرغ كؤوس الرحيق الصفيّ

ليحمرَّ وجه الغدير متى تلونا نشيد الحنين الخفيّ

قتنعا بنار الخيال فما لذاك الضرام بنا ينظفي

فيا وحشة الربع من بعدنا يسائل عنا ولا يكتفي!!

* * *

في حديقة بغداد

لي وقفةٌ والوردَ عند الضحى أبثه وجد الفؤاد الكئيبُ
أصغي إلى همس الغصون وما تسرّه الفيحاء للعندليبُ
أسري فيجري النهر في جانبي والزهر نورٌ وافتتانٌ وطيبُ
أعيش دهري في صفاء فلا ينزل مني الهم صدرًا رحيبُ
الدوح أهلي والهزار المنى والروح تهوى غمغمات الحبيبُ

* * *

حياة الأديب

إن صفت خمراً بأقداح الهوى مال يجلوها بأبكار البيان
أو شكت طيرٌ بأوداء الحمى هاجه النوح فأبكاها جنان
أو هفا صباً لمعسول اللّمي راح يشكو مثله جور الحسان
إن تقولوا ما به من لوعة ليس ما فيه التباغ بل حنان
كل قلب في البرايا قلبه فارحموه إنه قلب الزمان

* * *

وشاح حواء

كان للدوح في القديم وشاحٌ جرّ فيه على الغدير نيولا
عاطر الفوح ناعم النسج رطبٌ مثل بُردِ الحبيب حسناً وطولا
زانه في ندى الصباح لآلٍ من عقود الجنان تشفي الغليلا
غير أن الرياح أنة سخطٍ مزقت برده القديم الجميلا
ذي الوريقات من بقايا وشاحٍ لملمتها الغصون تبغي السدولا
كلما رمن وصلهنّ احتشاماً سدت الريح بينهن السبيلا
عبثت أنمل الرياح ببردٍ لحبيبي فحاولت (مستحيلا)
ليتها أفلحت فمزق عنه فأرانا من الغصون شكولا

* * *

السُّكْرُ بِالشَّذَى

يا درّها من سكرة لا رحيق إلا شذى زهر الجمال الأنيق
في روضة غنّاء ريانةٍ تثير في المشتاق ما لا يطيق
نشوى من الأنفاس أرواحنا سكرى من الأشواق لا تستفيق
يا جنة الأرواح إن تحلمي زهر الهوى في مثل لون الشقيق
فقد تركت الشوك في جانبي ينمو على الأيام دون الوريق...

* * *

دمشق الجميلة

دمشق إذا غبتِ عن ناظري فرسمك في حسنه الزاهر

مقيم على الدهر في خاطري

إذا فتح الورد في روضتك وغمى الهزار على دوحتك

يهب نسيم الصبا هاتفاً: أما والذي طاب في تربتك

سمعت شتات الأغاني فما اهتزت اهتزازي لأنشودتك

ولا عبت نحة في الفضا أحرّ وأطيب من نفحتك

* * *

ونهر تعشق ضوء القمر يغمغم بين المنى والذكر

فينثر في جانبيه الدرر

كأنه والصبح لما بدا.. وندن شاعره منشدا

فواد تصباه حب العلى فخالقه هائماً مزبدا...

تشف عن الصفو أعماقه ففي كل قطر ترى فرقدا

لأهوى العواصف هدارةً فهنّ المنى باسمات غدا!!

* * *

وسحر رواه هزار لبيب يصوغ من النجم تاج الحبيب

صياغة فذُّ قدير عجب

يحدثنا عن هوى شاعر تسربل بالناعم الناضر

يساجل في شوقه أمة تعالت على الناس في الغابر

فهل لم تهزك أصداؤه تفيض على القلب والخاطر

فربّ نشيد مهيب بنا إلى قنة الباذخ الظاهر

* * *

أنسى؟ ألا كيف أنسى الوداد وليس بقلبي له من تناذ

وهل عُرف الشوق لولا البعاد؟

ويوم هممت بهجر الوطن إذا كل ما شمت فيه حسن

فجُرد أعاليه مخضرة وقفر صحاريه روض أغن...

وما حرّه غير بُرد الصبا وما ظنّه غير رفق الزمن.

وما اللؤم طبع العدا بل همو كرام حبوا مهجتي بالمنن.

* * *

أنا وبلادي مللنا الجفاء كلانا محبّ قوي الرجاء

شهد علينا العلى والوفاء

فلا أنا أنسى جميل البلد ولا هو ينسى ولاء الأبد

ولكن عدو خفيف الحجا تأكله نزعات الحسد..

رمانا فكننا كما يشتهي... يفرقتنا فيه حب الصمد.

كأنى بخالقه عادة... تنازع حبها شيخا بلد.

* * *

وما الدين أن نستشير الشجون بل الدين في الناس قلب حنون

يفيض من الخير غيثاً هتون

بروحي مناهله الصافية تلالاً عن نشوة عالية

وإن في البلاد وما أنبتت.. جنان معطرة زاهية...

إذا ذكر القلب أوطانه فإن دمشق له قافية...

فزدني من كرمها رشفة فأمشي على شوكة حافية

* * *

بلادي هي بعض من قد هويت رياض سعدت بها أم شقيت

أناجي بهنّ المنى ما حييت

فكم لي فوق الثرى من ذمم وكم لي تحت الثرى من رمم
ولو لم يكن فيه غير أبٍ... وأمٍ لكان الحمى والعلم...
إذا فاخر الغير في قطرهم فوادي الشآم بأعلى القمم!
فلا نضب الجود في سحبه ولا عرف الخصب فيه الهرم.

لبنان

عدنا فمرحى يا زمان الصبا نستقبل الأنوار فوق الأكم
هل يا ترى في الناس من مبلغ أنا ملأنا العين مما انسجم
يا حبّذا لبنان ربع الندى منتجع العافين، مجلى الشمم
يهزأ بالأوداء ما طأطأت وأين للأوداء مجد القمم؟

* * *

على ذراع الأفق ممتدة ينام لبنان الكثير الأرق
معطر الأنفاس ذو فروة تعبت فيها الريح بين الورق
في طلعة الحسناء محجوبة طوراً، وطوراً في سنى يأتلق
كأنه والغيم في موجة طففت زخوراً في رحاب الأفق

* * *

لبنان حدّث عن رشاش "الصفاء" عن أرزه يلثم خد القمر
عن وثبة" الشاغور" (١) مستطلعاً عن ركضة "الباروك" (٢) بين الشجر
عن "إهدن" قامت على منبر في حلقة الرياح لا تستقر
عن الكروم الخضر تنو على مهامه يهدين أحلى الثمر

* * *

أطوف وحدي ليس لي مؤنس إلا هدير النبعّة الرافدة
أرعى قطيعاً من ضيوف المنى في ذروات الغابة الصاعدة
طود رسا أم سلّم من رؤى أم غابة أشجارها ساهدة
أم قبّة خضراء قدسية أم نشوة روعتها خالدة

* * *

أيام لبنان وتذكّارها أحلى انطلاقاً من غناء الرباب
ما هنّ إلا الدهر في صفوه إلا الأمانى في انقشاع الضباب

(١) تقصد شاغور (حمّانا) الذي كانت الشاعرة تصطاف فيه سنوياً.
(٢) الباروك: سلسلة جبلية في لبنان تمتد من جبال نيحا وتنتهي بظهر
البيدر وترتفع (٢٢٢٢) متراً عن سطح البحر.

يغريك طعم الخمر في مائه وغمغمت في زوايا الهضاب
طرحت في لبنان قلباً وهي فعاد في لبنان قلب الشباب

* * *

هذا فؤادي عالق بالنقا داووته بالعطر آن الوجيب
وذاك شعري في مهب الصبا وهاك نبضي في رمال الكثيب
وأطيب العيش افتراش الثرى وشربة من سلسبيل عجيب
في ظل دوح عابق بالشذى يهتز في الإصباح بالعندليب

* * *

جيران

ما رأيت الغصن إلا كاد قلبي أن يطير
أتراه ذا جناح من خفوق وزفير؟
ليت لي عشاً هنيئاً عند سفح وغدير
وهزار الدوح جاري يملأ الجو صفير
وفرش الحقل من رس لي إلى الخل الأثير
أقطع الآفاق شوقاً في حمى البدر المنير
كلما داعبت زهراً أرسل الزهر العبير
وإذا ما أينع التف اح أترعت العصير
ملء عيني جمال والروى ملء الضمير
وعلى ثغري أحبا ن صداها يستشير
وبقلبي الأمل الضا حك يتلوه البشير

* * *

فإذا ما التلج وافى واختفى الورد النضير
وبكى الأفق وغامت بسمة الروض الغير
أوقدت نكراه ناراً في خلال الزمهير

الذكريات

أنت يا ذكريات دهري إذا ما
فارفعي الستر فالحديث شجون
أنت مستودع الأمناني اللواتي
صور الأمس والزمان شهياً
أنت مثل الغيوم في صفحة الأفق
تعكسين الأنوار شتى على الأم
أنت من موجة الهيام رشاش
يصبح الأمس حاضراً فيك لولا
وليغدو العدى كراماً نشاوى
وليمسي البعيد فيك قريباً
ويهب الموتى، فهذا حبيب
لكأن الشباب لذن حفي

بسط الليل مداهم الجناح
لرؤى قد تدوم حتى الصباح
كن من قبل عابقات النواح
تترأى في لوحة الإفصاح
ق نهاراً ما بين غاف وصاح
واج يهتاجها أنين الرياح
نفضته أنامل الأشباح
ما نزا من مدامع وجراح
شربوا خمرة الولاء الصراح
باعثاً في الفضاء ريباً الأفاحي
يتهادى وذو قدود الملاح
مشرئباً إلى فنون المراح

* * *

أسمع الصوت أو أرى الطيف منهم يتهدى على النجوم الصباح
وأرد الصدى؛ وأرفع كأساً أترعت من عصارة الأرواح
وأنا الطفلة اللعوب وصحبي نتبارى على رمال البطاح
نتساقى من الوداد صفيّاً في رياض مطررات الوشاح
ثم تخفى معالم ورسوم ليس يبقى غير الأسي الملحاح

* * *

همُ الأطفال

وراقصة على نغم الشوادي لها صوت كترجيع الرباب
يفيض جمالها فيض الغوادي على ما فاح من زهر الروابي
أحب لحبها الأطفال طراً ولو سئم الفؤاد من العذاب
تفاجئني وذهنني في شرود يطل على المواكب، من كتابي
فتهذي غير حافلة بنقدي وتعبث بالصحائف والخطاب
تحوم حول حبي لا تبالي سؤالي كان نهياً أم جوابي

* * *

هم الأطفال في الفردوس حلوا كصفو الراح في كأس الشراب
خفاف كالطيور إذا اطمأنوا وإن جزعوا اقتفوا أثر الشهاب
خيامهم على جنات عدن وماؤهم على متن السحاب
وشرعهم الهدى واللفظ درّ وحبهم هوى أهل اللباب |

* * *

النعش المجنح

(قالت تناجي الطيارة التي أقلت
جثمان الملك فيصل الأول)

هاجه الشوق للعراق فطيري وانشري راية المليك الكبير
آية أنت، فهو فيك مسجى وجناحاه بين عصفٍ ونور!
صعدي في الفضاء، في الصحو، في السحب وميلي على دروب البدور
وأثيري الرياح من كل هوجاء نواحاً يشق صلد الصخور
ثم نادي البروق والرعد حتى يستثير الفضاء حرّ الزفير

* * *

صحت والركب طائرٌ يتعالى: قد حجبتم عن العيون الهللا
أرجعوا الجود ضافياً يتهادى أرجعوا النبيل ساطعاً يتللا
أيها الدمع إن تسلّ فعليه أيها الشعر إن تجشّ فسجالا
أيها العزب إن صدقتم فهبوا واشهدوا مصرع الجهاد رجالا
فهو للمجد يبتغيه جواباً وهو للسيف ينتضيه سؤالا

* * *

أيها الطائر المعلق هيا
نازلته الخطوب في الشام حتى
وتركت الشام فقراً يباباً
وأبى الله أن يكون مهيضاً
نحو بغداد، إن في النعش حياً
لم يدع للخطوب زناً قويا
لا ظلالاً ولا غناء شجيا
في ديار تعشقتة فتيا

* * *

ما لبغداد في الثكالي نظير
شاحب خدها وقد كان ورداً
إيه بغداد ما لك اليوم ولهي
لا زهور تزين الحي بشراً
ترقب الجو والعيون بحور
خاشع طرفها: أصاح النذير
قد عراها على الشباب فتور
لا غناء يهزه، لا خمور
ق؟ إن الهوى أبى نفور
أكذا ملتقى الأحبة بعد الشو

* * *

سز على الريح يا حبيب القلوب
قد ضمنت الحمى فما من سدود
باحث أنت في حمى النجم تعلي
أم تحب الضياء؟ ها هو نسز
وتخط الحدود رغم الرقيب
تفصل الصب عن تراب الحبيب
راية العرب في الفضاء الرحيب؟
فوق نعش مجنح مخضوب
هل تطيب الحياة للمغلوب!!
إن صوتاً من الضريح ينادي

* * *

أمل الفلاح^(١)

من الفارس المغوار في ساحة الوعى
من السهم لا يثنيه رد الجافل؟
من النهر يجري بين كفيه صاعراً
يغيّر مجراه برغم الحوائل؟
من الغصن يهتز انشراحاً للمسّه
ومن ذا كسا الجرداء أبهى الغلائل؟
* * *
هو الزارع الفلاح لولا جهاده
لما شمت بالريحان حسن المخايل
هو الطود للعبء الثقيل وقد بدا
على وجهه منه اتقاد المشاعل

(١) القصيدة التي فازت بالجائزة الأولى في محطة الإذاعة البريطانية بلندن،
عام ١٩٤٧.

نبيّ فقد أوحى إلى القفر بالشذى
وعَلَّقَ أقراط الغصون الحوامل
رسالته طيب وجنيّ ونشوة
ومعبته الخضراء حج القوافل
ففي جدّه عين الحياة تفتّحت
على غرر من كل صوب حوافل
بها موكب الأرواح والكرم والمنى
يرف حوالبه جناح البلايل
يلين لطلع ناعم النسج غضه
له صور الأحلام في عين آمل
كأنّي به أمّ تلين لطفها
وترعاه في عطف على الدهر شامل
شغوف بحسن الأرض يهوى خيالها
ولو حال دون الملتقى ألف شاغل
وقد بات مطبوعاً على لوح قلبه
بصورة روض ناضر الزهر مائل
تغني له في كل فجر حمامة
وتحنو عليه دوحه في الأصائل

فتسرع أسراب الطيور مطيعة
يعدن، ولا يدرين معنى التكاثر
وكلب حمول للرزيا محبب
رقيب وفي العهد، ليس بخاثر
يبيت وقطعان النعاج ببابه
فلست ترى في أهله غير باثر
وماذا عليه إن تقوس ظهره
على كونه في الرقص حور الخماثر
لئن ضاق بالكوخ الصغير مقامه
فإن له رجب الفضاء المقابل
خلا جيبه أما الفؤاد فملؤه
حنان يفيض الدهر فيض الجداول
تغلغل في صم الجنادل روحه
ففجر بالإلهام أصفى المناهل
يشع من المحراث ما في فؤاده
من النار يستحي بها كل ما حل
فهل عجب أن بنتاً روحاً فرددت
شفاه الأقاحي مدحه بالهياكل

لئن خشنت منه اليدان فكفه
سماح وإن الجود بسط الأنامل
يتيه عليه المترفون بمالهم
وليس لهم مثل ابتسامة عامل
فإن أرقوا لم تعرف السهد عينه
وإن بطروا أثنى على خير واصل
وإن ركبوا أسرى فجأى عليهم
وإن سكروا لم يدر معنى التغافل
وأحلى نشيد في الليالي سماعه
نشيد غيوم الأفق تهمي بوابل
يذل عقاب الشتم بأساً وقوة
وينزل في الغابات أعلى المنازل
هو الساعد المفتول لا يعرف الونى
هو العزة الشماء دون تطاول
فما الزهر إلا الشكر حُقّ لجاهدٍ
وما الخصب إلا من جزاء المناضل

* * *

اليَتِيمَة

نامت عيونك لا الأصباح توقظها
ولا التغاريد عند الفجر تغريها
أغضت يحلها الترب الذي نفضت
أنامل الدهر مذ فازت مراميها
وكنت ظرفاً رضي النفس ذا أدبٍ
وروعة أدهشت أبصار رائيها
لهفي على الطود يهوي في معرّته
على القسامة ريح البين تذريها
على المناكب إن لاحت لآنسةٍ
أومت إلى صاحبها والرفق حاديها
* * *
صفائح القبر! رفقاءً، إن طفلته
أحق منك بأن تحظى براعيها

تأتي الوساد فتدعوه مقبلة
هدب الوساد وقد خابت أمانها
هنا.. ينام حبيب القلب والدها
هنا.. الأغاني التي كانت تسليها
هنا.. فراغ.. لماذا؟ أين طلعتة؟
ويعمن الليل .. والأشجان تكويها؟
أين العناق الذي ذقت حلاوته
أين الذراع التي كانت توقئها؟
أين الشفاه التي تصبو لقبلتها
ما للمغاني سكوت لا تناجيها؟

* * *

تنأى عن الصبح لا لهو ولا مرح
حتى البشاشة في الغابات تذكئها
تنكس الطرف ما ناجته شاحبة
يروغها أن يكون الصمت تنويها
وتسأل الدمية الخرساء في وله
هل الفجيرة قد حلت بمهديها

أمات (بابا) فما ألقى له أثراً
وهل تواری عن الأزهار شاديها
لم يترك الموت عيناً منه أو كبداً
تحنو علينا إذا هبت سوافيها

* * *

ما زال طيفك نوراً في مخيلتي
وصوتك الحلو (يا بابا) يناديها
تهب ليلاً فتسينا لواعجها
إننا اقتسنا الجوى دهرًا ونسيها
فهي الكآبة ما تنفك ذاهلة
صفراء مطرقة جمراً مآقيها

* * *

دوحة الذكرى

نما حبها في العين والأذن والحشا
نمّو غراس طيب الأرج والتريب
ترى عصفت ريح النوى بنضيره
وأخنى على أزهاره وهج الغرب؟
فيا دوحة الذكرى أثار مدامعي
ذبولك رغم الماء والنور والخِصب
تريني إذا ما الليل ألقى ذوائبا
أحتّ إليك الشوق في البعد والقرب
كأني حمام حنّ من فرط شوقه
إلى أيكّة جرداء مكتتب القلب
يسائلها عن عشه أين روحه
وأين الذي شادته أمس يد الحب

* * *

إلى الساقية

يا من سقيت الروض صهباء الهوى
وتفتّحت أبصاره بعد الشراب
تجرين في ولهٍ كأن منادياً
يدعوك ظمناً إلى رشف الرضاب
هيا اركضي في ساحة الدنيا بما
أعطيت من هبة الغناء أو السحاب
إني لأسمع في حديثك نغمة
أخذت طيور الغاب عنها والرياب
ما إن جلست إلى ضفافك مرة
وقرأت ما أملى النسيم من الخطاب
إلا التفتت كأن طيفاً هاتفاً
بالقرب مني عائداً بعد الغياب

* * *

تصوّف

لماذا إن رأيتك بين حشدٍ تلاشى الكون واحتجب الوجود
فما يبقى سواك أمام عيني وما هاج المعازف والنشيد
كأن الخلق كلهم هباء فلا صور ولا صوت يعيد
لماذا لست أهوى منك قريباً وأقنع بالخيال فلا أزيد
أنت من الألى عبدوا قديماً وأغرانا بحبهم الخلود؟

* * *

أرق

أيها النوم، يا نجي الليالي
باسطاً في الدجى جناحيه رفقاً
تجذب الستر وهو داجٍ كثيف
في غطيظٍ يموج حلماً رقيقاً
أيدي أفلتت جناحك وهنا
أم غزت ريشك العوادي انتهاياً
يا نعيماً في شكل موت مريع
عد إلى الجفن بعد هجر مريع
يا ملاكاً ملقفاً بالظلال
مغمض الطرف أبكماً لا يبالي
يحجب الروع عن قلوب الرجال
يتراءى في مثل ضوء الهلال
أم قطعت العهود قطع الحبال؟
معجبات بما له من جمال
وحياة في مثل صمت الزوال
واحمل الروح في ربوع الخيال.

* * *

ورقاء

طرب القلب ومآته الهموم
فإذا الورقاء في الليل تهيم
ما لها صامته قد ذهلت
عن فنون الروض حيرى لا تريم
لو تغنينا على وقع الندى
أنصت البدر إليها والنجوم
أتراها اليوم ضلّت سيرها
أم بها في صمتها وجد قديم
أم جفاها الحب حتى لا صدى
لأغانيها ولا رد كـريم
إيه يا ورقاء ما شاء الهوى
فشقاء الحب في الدنيا نعيم

فغدأ ترجع ألحان الصبا
تقعد الأكوان شوقاً وتقـيم
يطلع الفجر على هام الربي
لاثماً في كل حسن ما يروم
فشفاه قد تندت نشوة
وعيون قد جلت عنها الغيوم
تهرع الأسراب لاستقباله
في هتاف وقعـه حلـو رحيم

* * *

في الراديو

أنام والأنغام في مسمعي تدوي وحرّ الشوق في أضلعي
تردد الأصدااء مخضوبة بما نزا في كبد موجع
على جناح الليل في وحشة معقودة الأطراف ليست تعي
إذا أطل النجم من كوة لاح خيال كان يصبو معي
وإن أهابت بسمة في الدجى ذابت على لحن الأسى المودع
هل في حنين العود من ساجع يوحى إليه الأسر بالمتع

* * *

يا صلتي بالكون في وحدتي إذا دجا ليل النوى الأروع
مدّي بهذا الصوت يا طالما حملتني إلى الملاء الأرفع
أكل ما يبقيه دهر لنا سلك من الفولاذ في المخدع؟

* * *

تعالِي

تعالِي إلى الروضة الزاهية نغرد وأطيارها الشادية
فقد نورت بكؤوس الشذا فقاقيع عريضة غاوية
مهفهفة ملء أردانها عبير تنفس عن شاكية
بروض أزاهيره أشبهت عيوناً تطل على الساقية
تعاليت يا معجزات الثرى هياماً بأسرارك الخافية
بروحي عهدك إذ نلتقي على ضفة النبعة الداوية
تزقزق فيها الأماني التي حسبنا أناشيدها باقية
إذا ما نسيت عهد الهوى فلست لعهدك بالناسية

* * *

وردة الصيف الأخيرة

يقولون الصبا روض خصب وأين الروض في هذا العراء؟
فلا ظل ولا ورق يقيني هزيم الرعد في حلك المساء
ولا أنس يطيب ولا حبيب يرد بجنحه عصف الشقاء
ولا قلب يجيب صدى حنيني ولا عين تتوق إلى لقائي
كأني للنوائب صرت أهلاً أداوي داءها فيعزّ دائي
بذا تقضي السماء فلا مردّ وهل من ناقض حكم السماء
على روض الشباب نثرت دمعي عسى تخضر أعواد الرجاء

* * *

المصادر

- ١- ماري عجمي في مختارات من الشعر والنثر . منشورات جمعية الرابطة الثقافية النسائية بدمشق ١٩٤٤ .
- ٢- دوحة الذكرى . مختارات من شعر ونثر ماري عجمي . وزارة الثقافة . دمشق ١٩٦٩ .
- ٣- مجلة القبثارة . اللاذقية ١٩٤٧ .

فهرس

الصفحة

- ماري عجمي (١٨٨٨ - ١٩٦٥) بقلم: عيسى فتوح ٥
- أديبة الشام بقلم: الأديبة وداد سكاكيني ١٥
- ماري عجمي: بقلم الأديبة كوليت الخوري ٢١

ديوان

- ماري عجمي ٢٧
- تحية الربيع ٢٩
- يقظة الربيع ٣٣
- جواب الروض ٣٥
- الجندي في ساحة القتال ٣٧
- الصباح ٣٩
- إلى البنفسجة ٤٢
- شوقي! ٤٥
- لبنان الحنون ٤٨

٥٣ فدعوني على الخميبة أعدو
٥٥ نجْم
٥٦ الياسمين
٥٨ الشاعرة
٥٩ بلا عنوان
٦٠ الحُبُّ
٦٢ مأتم الورد
٦٣ أحلام
٦٦ ظلم
٦٨ الفجر
٧١ المذباح
٧٣ ألا يا بحرُ ..
٧٥ إلى القمر
٧٧ عروسُ الشعر
٧٩ صحراء
٨٠ الربيع
٨٢ وادي الهوى
٨٥ إلى فاطمة
٩٠ أحمد شاكر الكرمي

٩٢ لعلّ للأرواح
٩٣ غناء الطير
٩٤ الطبيعة
٩٨ الأدواح
٩٩ والعود أحمّدُ
١٠١ أتّى للموت ما زعم؟..
١٠٦ أعيدي إليّ...
١٠٩ في حديقة بغداد
١١٠ حياة الأديب
١١١ وشاح حواء
١١٢ السُّكْرُ بالشذى
١١٣ دمشق الجميلة
١١٧ لبنان
١٢٠ جيران
١٢٢ الذكريات
١٢٤ همُّ الأطفال
١٢٥ النعش المجنّح
١٢٧ أمل الفلاح
١٣١ اليتيمة

الصفحة

١٣٤	دوحة الذكرى
١٣٥	إلى الساقية
١٣٦	تصوّف
١٣٧	أرق
١٣٨	ورقاء
١٤٠	في الراديو
١٤١	تعالى
١٤٢	وردة الصيف الأخيرة
١٤٣	المصادر

الطبعة الأولى / ٢٠١٦ م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة